الإصلاح بالإسلام
(١)

الدكتور
محمد عمارة
المفكر الإسلامي

العلمانية بين الغرب والإسلام

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٢٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٢٣٩٠٣٧٤٦

اسم الكتاب: العلمانية بين الغرب والإسلام

الدكتور محمد عمارة

الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة.

٨٠ صفحة: ١٤ × ٢٠سم

رقم الإيداع: ١٣٥٧١/٢٠١١م

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-225-322-4



دار الكتب والوثائق القومية

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عمارة، محمد

العلمانية بين الغرب والإسلام/ محمد عمارة.

القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١١م.

٨٠ ص: ٢٠سم.- (الإصلاح بالإسلام: ١)

تدمك ٤ ٣٢٢ ٢٢٥ ٩٧٧

١ - الإسلام والعلم

أ- العنوان

ديوى ٢١٤,٥

مُقدِّمة

فى هذا الكتاب -الذى نقدم بين يديه- دراستان:

الدراسة الأولى: عن العلمانية بين الغرب والإسلام..

والدراسة الثانية: عن علمانية المدفع والإنجيل..

ولا نجد فى التقديم لهذا الكتاب أفضل من نشر سطور من (التقرير الرسمى) الذى وضعته لجنة من كبار المفكرين وأساتذة الجامعات البريطانيين، يرأسها البروفسور (جوردون كونواى) مستشار جامعة (ساكس) SUSSX وكان من بين أعضائها أسقف لندن، ورئيس تحرير صحيفة (نيوستيتسمان) وأستاذ القانون بجامعة (سوك هامبتون)، وممثلة عن هيئة الخدمة المدنية، ورئيس المجلس اليهودىّ لمنع التفرقة العنصرية، وعدد من كبار الأساتذة الجامعيين.

هذه اللجنة الرسمية التى تألفت لدراسة الموقف الغربىّ من الإسلام.... قد جاء فى تقريرها الرسمىّ:

(إنَّ الشائع فى الثقافة الشعبية والثقافة السياسية فى الغرب: أن الإسلام مصدر تهديد للدول والشعوب وللثقافة والحضارة الغربية. وإن الفكرة السائدة: أن الإسلام تهديد رئيسىّ للسلام فى العالم. وأن التعصب الإسلامى تحوّل إلى مصدر للاضطرابات والإرهاب وأنه يماثل تهديد النازية والفاشية للعالم فى الثلاثينيات والتهديد الشيوعىّ فى الخمسينيات من القرن العشرين.

وإن الفكرة السائدة: أن الحرب مع الإسلام حتمية. وأن المتعصبين الإسلاميين يزداد عددهم ، وأنهم يهدفون إلى تدمير الحضارة الغربية، وهم سعداء لأن هذا هو (الجهاد) الذى يأمر به دينهم. وتتردد فى الأدبيات الغربية عبارة: (إن قبائل أصحاب العمامات سوف تنتصر) نتيجة لرفض الغربيين الإنجاب وتزايد الحاجة إلى المهاجرين، مما يهدد بأن تحيا الحضارة الغربية بعد ذلك بدماء غير أوربية، وينتشر الإسلام فى دول أوربا والولايات المتحدة. وقد بدأ العد التنازلىُّ بالسماح بتدريس القرآن فى المدارس. إن الناس فى الغرب يرفضون -لا شعورياً- الانتقادات التى يوجهها المسلمون للمجتمعات الغربية وللقيم الأساسية لهذه الحضارة، مثل: الحرية، والديمقراطية (والحداثة) وفصل الدين عن الدولة وعن السياسة. وأن تشبيه الإسلام بالشيطان ليس مقصوراً على الصحف الصغيرة، ولكن الصحف الكبرى والكتب والمحاضرات الجامعية فى الغرب تكرر عبارات الازدراء للإسلام.

وإنه من السذاجة الادعاء بعدم وجود صراع ين الغرب والإسلام اليوم، كما كان فى الماضى أيام الحروب الصليبية، وأيام الفتوحات الإسلامية فى إسبانيا، ووصول الجيوش الإسلامية إلى جنوب فرنسا، وانتشار الإسلام فى ألبانيا ويوغسلافيا بالغزو. وفى الوقت الحالى توجد صراعات المصالح، ويوجد الصراع المتعلق بإسرائيل، وبالسيطرة على البترول، وهذه الصراعات التى تؤدى حتماً إلى محاولة كل طرف إخضاع الآخر، وبسببها أيضًا تتراكم المشاعر المعادية للإسلام، ويزيد الأمر صعوبة وجود الصراع مع الإسلام فى الشيشان وأفغانستان والهند، ووجود توترات وصراعات سياسية داخلية فى

الدول الإسلامية ذاتها، وينظر الغربيون إلى هذه الصراعات على أنها صراع بين الحداثة الغربية والجمود الذى يمثله الإسلام، وحرص المسلمين على صبغ كل أمور حياتهم بالصبغة الدينية. إن العداء للإسلام حقيقة فى الثقافة الغربية المعاصرة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها»[1].

تلك سطور من هذا التقرير الرسمىِّ الغربىِّ.. الذى يعلن أن العداء الغربىَّ للإسلام حقيقة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها.. وأن الإسلام هو الشيطان!! وأن المعركة ليست فقط بسبب البترول وإسرائيل.. وإنما هى بين الحداثة الغربية -التى تريد فَصْل الدين الإسلامىِّ عن الدولة والسياسة- أى تريد فرض العلمانية على الإسلام.. وعلى المسلمين «الذين يحرصون على صبغ كل أمور حياتهم بالصبغة الدينية».

هكذا.. فى هذا التقرير الرسمىّ، اتخذ الغرب الإسلام عدوًا.. وجعله أخطر من النازية والشيوعية.. متجاهلين أن هذا الغرب -الذى يشكو من الإسلام والمسلمين- يملأ بلاد الإسلام بجيوشه وقواعده العسكرية- وليس للمسلمين فى الغرب «عسكرى مرور»! ويملأ المحيطات والبحار الإسلامية بالأساطيل الحربية- وليس للمسلمين فى بحار الغرب (سفينة صيد)!.. وشركاته المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات تنهب ثروات المسلمين!.. وكنائس الغرب تسير فى ركاب جيوش الغزو لتنصير ضحاياه، الذين يضطرون لبيع عقائدهم لقاء كسرة خبز أو جرعة دواء!!.

---

(١) (صحيفة الأهرام)- مقال الأستاذ رجب البنا: (تقرير عن الإسلام والغرب) عدد١٨ -١١-٢٠٠٧.

فإذا ما أراد المسلمون تحرير بلادهم . . والتماس عزتهم من دينهم . . جاء الغرب بالعلمانية التى تريد تحويل الإسلام إلى مجرد «طقوس . . وتمتمات»، ليفرضها عليهم - بالمدفع والإنجيل- بدلا من الإسلام الذى به يؤمنون. ذلك هو موقف الغرب تجاه الإسلام . . وهذه هى معركة العلمانية الغربية مع الإسلام . . آثرنا الإشارة إليها فى التقديم لهذا الكتاب. سائلين المولى -سبحانه وتعالى- أن يجعل منه كتيبة من كتائب «الجهاد الفكرى» فى معركة الذود عن حياض الإسلام . .

إنه -سبحانه- أفضل مسئول وأكرم مجيب.

دكتور
محمد عمارة

***

[١]

العَلْمانيةُ بين الغرب والإسلام

نشأة العَلْمانيةِ

مصطلح «الـعَلْمانيَّة»، هو التـرجمـة التى شاعت -بمصـر والمشرق العربىّ- للكلمة الإنجليزية secularism. . بمعنى الدنيوىّ. . والعالمىِّ. . والواقعىّ- مـن الدنيا والعالم والواقـع- المقابل «للمقـدس» أى الديني «الكهنوتي» النائب عن السماء، والمحتكر لسلطتـها، والمالك لمفاتيحها، والخارق لـلطبيـعة وسننهـا، والذى قدَّس الدنيـا قداسـة الدين، وثبت متغيراتها- العلمية والقانونية والاجتماعية- ثبات الدين. . .[1].

ولأن هذا هو معنى المصطلح، فى نشأته وملابساته الأوربية -النزعة الدنيوية، والمذهب الواقـعىّ فى تدبير العالم من داخله، وليس بشـريعة من ورائه- فلقد كان قياس المصدر هو -«العالمية»- أو «العالمانية». لكن صورته غير القياسية -«العلمانية»- هى التى قدر لها الشيوع والانتشار.

والعلمانيـة، كنزعة فى تدبير العالم، وكـمذهب فى المرجعيـة الدنيوية لشـئون العـمران الإنسـانىِّ، لا يمكن فـهمـها -ومن ثم فـهم الموقف الإسـلامىِّ منهـا- بمعزل عـن الملابسات الأوربيـة، لنشـأتهـا فى إطار الحضـارة الغربية المـسيحـية، بجذورها الإغـريقية الفلـسفيـة، وتراثها

(١) انظر (معجم العلوم الاجتماعية) -وضع مجمع اللغة العربية- القاهرة سنة ١٩٧٥م.
و(قاموس علم الاجتماع) -إشراف دكتور عاطف غيث. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.
ودكتـور محمـد البهيّ (العلمـانية والإسـلام بين الفكر والتطبيق) ص ٨،٧ . طبـعة القاهرة سنة١٩٦٧م.

الرومانى القـانونى. والإضافة المسيـحية لهذه الجـذور وذلك التراث. .
وإذا كان التفصيل فى هذه القضايا هو مما يخرج هذه الدراسة عن آفاقها ومقاصدها. . **فإننا نكتفى بالإشارة إلى بعض القضايا فى شىء من الإيجاز:**

لقد ظلت المسيـحية، منذ نشأتهـا وعبر قرون طويلة من حـياتها فى المجتـمعات الأوربية: دينا لا دولة، وشـريعة محـبة لا تقدم للمجـتمع مرجعيـة قانونية ولا نظامًا للحكم,ورسالة مـكـرسة لخلاص الروح تدع ما لقيصـر لقيصر ,وما لله لله. . وظلت رسالة كنيستها خاصة بمملكة السماء، لا شأن لها بسلطان الأرض وقوانـين تنظيم الاجتماع البشرىّ، فى السياسة والاجتماع والاقتصاد، وعلومها ومعارفها. .

وعبـر هذه القـرون، حكمت العلاقـة بين الكنيسـة والدولة -أى الـدين والمجتمع- نظرية (السيفين) -Theory of The Tow Swords -أى السيف الروحى- أو السلطـة الدينية للكنيسـة- والسيف الزمنى- أو السلطة المدنية للدولة.

فلمـا حـدث وتجـاوزت الكنيـسـة حـدود رسـالة الروح ومملكة السماء، فاغتصبت السلطة الزمـنية أيضًا، أضفت على الدنيا قداسة الدين، وثبتت متـغيرات الاجتماع الانسـانى ثبات الدين؛ فدخلت المجتمعات الأوربية مرحلة الجمود والانحطاط وعصورها المظلمة. .
وسادت فى تلك الحـقبة نظرية (السـيف الواحد) (Theor of One Sword)- أى السلطة الجـامعـة بين الدينىّ والمدنىّ- سـواء تولاها «البـابوات- الأباطرة» أو الملوك الذين يوليهم ويبـاركهم البـابوات-

وعرف هذا النظام، فى التاريخ الأوربىّ،بنظرية الحق الإلهىّ للملوك (Divine Right of The KINGS).[1]

وفى مواجهة هذا النظام، وواقع الانحطاط الحضارىّ الذى أثمرته تطبيقاته -التى قدست الدولة وحكامها. . . وجمدت الدنيا ومجتمعاتها وعلومها- كانت «الثورة العلمانية» التى فجرتها فلسفة التنوير الأوربى، والتى أقامت قطيعة معرفية مع فلسفة الحكم الكهنوتىّ، وأسست النزعة العلمانية الحديثة على التراث الأوربىّ القديم وعلى عقلانية التنوير الأوربىّ الحديث، التى أحلت «العقل» و«التجربة» محل «الدين» و«اللاهوت».

لقد أعادت «الثورة العلمانيــة» الكنيسة إلى حدودها الأولى: خلاص الروح، ومملكة السماء، وجعل ما لقيصر لقيصر من دون الله! . . .

وجعل «العقل» و «التجربة»، دون «الدين . . . واللاهوت»، المرجع فى تدبير شئون العمران الإنسانيّ، أى عزل «السماء» عن «الأرض» انطلاقًا من فلسفة أن العالم مكتف بذاته، تدبره الأسباب المخلوقة فى ظواهره وقواه وطبيعته، دونما حاجة إلى رعاية إلهية أو تدبير شرعيّ نازل مما وراء الطبيعة والعالم. .

فالعلمانية هى: جعل المرجعية فى تدبير العالم إنسانية خالصة، ومن داخل العالم، دونما تدخل من شريعة سماوية هى وحى من الله المفارق لهذا العالم. ولقد عرفت العلمانيــة الأوربية - غير التيار الماديّ الملحد-

---

(١) انظر: (موسوعة العلوم السياسية) المجلد الأول -مادة (حق الحكم الإلهيّ) طبعة الكويت سنة ١٩٩٣م، ١٩٩٤م.

تيارًا مؤمنًا بالله، استطاع فلاسفته -من أمثال: هوبز HOBBES- [١٥٨٨ - ١٦٧٩م] ولوك LOKE [١٦٣٢ - ١٧١٦م] وليبينز LEIB-NIZ وروسو ROUSSEAU [١٧١٢ - ١٧٧٨م] وليسنج LESSINC [١٧٢٩ - ١٨٧١] - التوفيق بين الإيمان بوجود إله خالق للعالم وبين العلمانية التى ترى العالم مكتفيًا بذاته، فتحصر تدبير الاجتماع البشرى فى سلطة البشر المتحررة من شريعة الله..

وكان هذا التوفيق مؤسسًا على التصور الأرسطيِّ لنطاق عمل الذات الإلهية.. فالله، فى التصور الأرسطي، واحد، مفارق للعالم، وخالق له.. لكنه قد أودع فى العالم والطبيعة الأسباب التى تدبرهما تدبيرًا ذاتيًا دونما حاجة إلى تدخل إلهيّ، أو رعاية إلهية فيما بعد مرحلة الخلق «فالحركة توجد فى الشيء بذاته ولذاته، لا من حيث إن شيئًا خارجيًا هو الذى يحدث فيه هذه الحركة» و «عناية الله موقوفة على ذاته».. «ولا تدخل له فى الأحداث الجزئية فى العالم والطبيعة»[1] فالعالم مكتف بذاته، تدبره الأسباب المودعة فيه، وهو وحده مصدر المعرفة الحقة، القابلة للبرهنة والتعليل، وتدبير الدنيا مرجعيته الإنسان- بالعقل والتجربة- دون رعاية أو تدبير أو تدخل من السماء- هكذا استندت العلمانية، فى تأسيس «دنيويتها»، على التصور الأرسطيّ لنطاق عمل الذات الإلهية- فهو مجرد خالق... فرغ من الخلق.. وانحصرت عنايته بذاته، دونما رعاية أو تدبير للمخلوقات- كصانع الساعة، الذى

(١) دكتور عبد الرحمن بدوي (موسوعة الفلسفة) -مادة أرسطو طاليس- ص ١٠٤.

أودع فيهـا أسباب عملهـا، دون حاجة لوجوده مـعها وهى تدور!...
وساعد العلمـانية على الانتصار لهـذه النزعة، التصور المسيـحيّ لعلاقة الدين بالدولة، فهـو تصور يدع ما لقيـصر لقيـصر، ويقف بالدين عند خلاص الروح ومملكة السماء، دون أن يقدم شـريعة للمجتمع والدولة، الأمر الذى جعل (سجن) الدين فى الكنيسة وفى الضمير الفردى «ثورة تصحيح دينىّ» وليس عدوانًا على الدين!..

وساعدها على ذلك أيضًـا. أن التراث الرومانى فى فلسفـة التشريع والتقنين، قد جعل «المنفعة» ، غير المضبوطة بالدين وأخلاقياته وشريعته السماوية، هى المعيار- فكان الطريق إلى القانون الـوضعى مفتوحًا أمام العلمانية، يزكيه هذا التراث!..

هكذا نشأت العلمانيـة فى سياق التنوير الوضعيّ الغـربيّ، لتمثل عزلا للسـماء عن الأرض، وتحـريرًا للاجتمـاع البشـرىّ من ضوابط وحدود الشريعة الإلهية، وحصـرًا لمرجعية تدبير العالم فى الإنسان، باعتـباره «السـيد» فى تدبيـر عالمه ودنيـاه.. فهى ثمـرة من ثمرات عـقلانيـة التنوير الوضعيّ، الذى أحـل العقل والتـجربة مـحل الله والدين، وهى قـد أقـامت مع الديـن -فى تدبيـر العـالم -قطيـعـة معرفـية- وبعبارة واحـد من دعاة التنوير الغربى -«فلم يعـد الإنسان يخضع إلا لعقله.... فى أيديولوجيـا التنوير.. التى أقامت القطيعة الابستمولوجية- (المعرفـية) الكبرى التى تفصل بين عصرين من الروح البشـرية: عصر الخـلاصة اللاهوتية للقـديس توما الأكوينى، وعـصر

الموسوعة لفلاسفة التنوير.. فراح الأمل بمملكة الله ينزاح لكى يخلي المكان لتقدم عصر العقل وهيمنتــه.. وراح نظام النعمة الإلهية ينمحى ويتلاشى أمام نظام الطبيعــة.. وأصبح حكم الله خاضعًا لحكم الوعى البشرى، الذى يطلق الحكم الأخــير باسم الحرية»[1] إنها عزل السماء عن الأرض، والدين عن الدنيا، وإحلال الإنســان- فى تدبير العمران البشريّ- محل الله!...



(١) أميل بولا (الحرية، العلمنة: حرب شطري فرنسا ومبدأ الحداثة) منشورات سيرف. باريس سنة ١٩٨٧م. (والنقل عن هاشم صالح -مجلة «الوحدة» -المغرب- عدد فبراير -مارس سنة ١٩٩٣م ص ٢٠، ٢١.

وفـــود العَلْمانيـة إلينا فـــى
ركاب الغزوة الاستعمارية

وإذا كـانـت غـزوة بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١م) لمصـــر (١٢١٣هـ-١٧٩٨م) قد مثَّلت بداية الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لوطن العروبة- قلب العالم الإسلاميّ- بعد أن التف هذا الاستعمار حول هذا العالم- عبر أربعة قرون؟!...

فإن هذه الغـزوة قد تميزت عن سابقتها الصليبية (٤٨٩-٦٩٠هـ-١٠٩٦-١٢٩١م) **باستهدافها احتلال العقل، واستبدال الفكر، وتغيير الهوية- مع احتلال الأرض، ونهب الثروة، واستعباد الإنسان!.. فكانت العلمانية واحدة من الوافد الغربيّ فى ركاب الغزاة...**

وللمـرة الأولى تترجم الكلمة الفرنسية LAILQUE بكلمة «علمانى» فى المعجم الفرنسيّ العربيّ الذى صدر سنة ١٨٢٨م، والذي وضعه «لويس بقطر المصري» -الذى خدم فى جيش الاحتلال الفرنسيّ بمصر، ثم رحل معه، ليدرِّس العامية المصرية في مدارس باريس؟! - ترجمت «اللائكية» بالعلمانية، من «العَلْم» نسبة إلى «العَالَم» باعتباره «الدنيا» المقابلة «للدين»[1]...

---

(١) دكتور السيد أحمد فرج (علماني وعلمانية، تأصيل معجمي) مجلة (الحوار) عدد ٢. ص ١٠١-١١٠- سنة ١٩٨٦م.

وفى كل موقع من بلاد الإسلام قامت فيه للاستعمار الغربيّ سلطة ودولة، أخذ هذا الاستعمار -شيئًا فشيئًا- يُحلّ النزعة العلمانية فى تدبير الدولة وحكم المجتمع وتنظيم العمران محل «الإسلامية»، ويزرع القانون الموضعيّ العلمانيّ حيثما يقتلع شريعة الإسلام وفقه معاملاتها.

- **ففي الجزائر وتونس،** أخذ الاستعمار الفرنسيّ فى إحلال القانون الوضعيّ العلمانيّ محل الشريعة الإسلامية وقانونها -وكذلك صنعت إنجلترا بمصر بعد أن احتلتها. . وعن هذا الغزو القانونيّ بالوافد العلمانيّ يحدثنا عبد الله النديم (١٢٦١-١٣١٣هـ- ١٨٤٥-١٨٩٦م) فيقول: (إن دولة من دول أوربا لم تدخل بلدًا شرقيًا باسم الاستيلاء، وإنما تدخل باسم الإصلاح وبث المدنية **وتنادى أول دخولها بأنها لا تتعرض للدين ولا للعوائد، ثم تأخذ فى تغيير الاثنين شيئًا فشيئًا...**

كما تفعل فرنسا فى الجزائر وتونس، حيث سنت لهم قانونًا فيه بعض مواد تخالف الشرع الإسلامي، بل تنسخ مقابلها من أحكامه، ونشرته فى البلاد، واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم، ولما لم تجد معارضًا أخذت تحوّل كثيراً من مواده إلى مواد ينكرها الإسلام، توسيعًا لنطاق النسخ الدينيّ. ولم نلبث أن جاريناها (فى مصر) وأخذنا بقانون يشبهه..[1].

فبالقانون العلماني يتم النسخ الدينيّ، والمسخ لشريعة الإسلام!.

---

(١) مجلة (الأستاذ) العدد الثاني والعشرون ص ٥١٤، ٥١٥- بتاريخ ٢٩ جمادي الآخرة سنة ١٣١٠هـ ١٧ يناير سنة ١٨٩٣م.

ومع القانون العلمانى -الوضعى الذى لا يضبط «المنفعة» بالشرع.. ولا يحكم حقوق الإنسان بحقوق الله وحدوده - جاءت الغزوة الاستعمارية الغربية إلى بلاد الإسلام بمفهوم الحرية الإنسانية المتحرر من الضوابط الشرعية، والمؤسس على أن الإنسان هو سيد العالم ومرجع التدبير للعمران- وليس على المفهوم الإسلامى للاستخلاف، الذى يضبط حرية الخليفة بالشريعة الإلهية، التى هى معالم التدبير الإلهي للاجتماع الإنسانى، وفيها بنود عقد وعهد الاستخلاف الإلهي للإنسان...

وعن هذا المفهوم العلمانى للحرية- الذى يقضى- بعبارة عبد الله النديم: «بعدم تَعَرّض أحد لأحد فى أموره الخاصة» يقول النديم فى نقده.. وفى بيان بديله الإسلامي: «**إن الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق، والوقوف عند الحدود. وهذا الذي نسمع به ونراه رجوع إلى البهيمية وخروج عن حد الإنسانية .. إنها حرية بهيمية ينفر منها البهيم.. ولئن كان ذلك سائغًا فى أوربا، فإن لكل أمة عادات وروابط دينية أو بيتية، وهذه الإباحة لا تناسب أخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينية ولا عاداتهم، وهى لا توافق عوائد أهل الشرق ولا أديانهم. والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الأمة من غير أن يجنى أو يغرى بالجناية عليها بما يبيحه من الأحوال المحظورة عندها....**»[(١)].

بل إن تسلل القانون العلماني الغربيّ، واختراقه لمؤسساتنا القضائية والتشريعية، قد سبق أحيانًا الاحتلال العسكريّ المباشر والسلطة

---

(١) مجلة (الأستاذ) العدد التاسع عشر ص ٤٣٩ . والعدد الثامن والعشرون ص ٩١٢ .

الاستعمارية السافرة، وذلك عندمـا رافق تزايد «النفوذ» الاستعماريّ فى بلادنا، وتضـخم الجاليـات الأجنبية فـيهـا. . فكان تسلله هذا تمهـيدًا للاحتلال والاستعمار؟!.

ففى مصر: على عهد الخديوى سعيد (١٢٣٧-١٢٧٩هـ - ١٨٢٢-١٨٦٣م) صدرت «إرادة»؟! فى(١٢ شعـبان سنة ١٢٧٢ هـ ١٨إبريل سنة ١٨٥٥م -بإنشـاء مـحكمـة تجاريـة [مجلس تجـار] مـخـتلط من المصـريين والأجـانب، ليـقـضى فى المنازعـات التـجـارية التى يكون الأجانب طرفًا فيها»[1] . . . فبدأ الاختراق العلمـاني لمؤسسة القضاء. ومع تزايد النفـوذ الأجنبيّ أصبـحت للأجـانب الأغلبيـة فى عضـوية محكمة [قومسيون مصر] ثلاثة مصريون، وأربعة أجانب[2].

وبعد أن تعددت «المحـاكم القنصلية» التى يقضى فيها قـضاة أجانب بالقانون الأجنبيّ، فى المنازعـات التى يكون أحد طرفيها أجنبـيًا -حتى بلغت- فى ظلٍّ الامتيازات الأجنبية- سبع عشرة محكمة- «نظمت هذه الفوضى» القانونية والقضائية سنة ١٨٧٥م بإنشاء «المحاكم المختلطة» - وهى التى تقضي فى المنازعات بين المصريين والأجانب «بقانون نابليون» العلماني . . وباللغـة الفرنسـيـة، وأغلبيـة قـضاتهـا أجانب، والـرئاسة فـيهـا للأجـانب. . وفى دائرتهـا الجزئيـة، ذات القـاضى الواحد، ينفـرد. .

---

(١) أمين سامي باشا [تـقويم النيل] المجلد الأول من الجزء الثالث. ص١٦٠ طبـعة القاهرة سنة ١٩٣٦م.

(٢) عبد الرحمن الرافعي [عصر إسماعيل] ج١ ص ٤٧ ، ٤٨ . طبعة القاهرة سنة ١٩٤٨م.

القــاضى الأجنبى بالحكم، وكــذلك فى دوائــر: الأمور المستــعــجلة، والوقتية، والبيوع، ونزع الملكية العقارية؟! [1]

فتم الاختــراق العلماني لمؤســستي «القضاء» و«التشريــع» معًا..، إذ «**لم يقتــصر النظام المخـتلط على إنشاء قــضاء أجنبى نافذ الأحكام عــلى الرعايا الوطنيين وعلى حكــومة البــلاد، بل خــوّل الدول الأجنبيــة حق التــدخل فى التشريع الذى يسرى على رعاياها**».[2]

بل إن قــاضيًــا هولندياً بهــذه المحاكم المخــتلطة «فــان بملن» VON BEMMELEN قد وصف القضاء القنصلي بأنه «**وليد الاغتصاب الواقع من الأقــوياء على حقــوق الضعــفاء**»، ووصف المحاكم المخــتلطة -وكان قاضيًا بها -«**بأنها ركن قوى من أركان السيطرة الأوربية على مصر**»[3]!.

ولم تُجْدِ فى مــقاومة هــذا التسلل العلماني إلــى القضاء والتــشريع المصريين «صــيحــة التحذير» التى أطلقــها رفــاعة الطهطاوى [١٢١٦-١٢٩٠هـ-١٨٠١-١٨٧٣م] عندما كتب [١٢٨٦هـ- ١٨٦٩م] عن هذه المجالس التجارية التي رُتبت في هذه المدن الإســلامية «لفصل الدعاوى والمرافعات بــين الأهالي والأجانب، بقوانين فى الغالــب أوربيــة» وعقَّب على هذا الاختراق القانوي العلماني، قائلا:

---

(١) عبد الرحمن الرافعى [عصر إسماعيل]: ج٢ ص ٢٤٢-٢٤٦.

(٢) المرجع السابق ج٢ ص٢٤٩.

(٣) المرجع السابق ج٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٧ والمرجع ينقل عن كتاب [مصر وأوربا] ج١. ص ١١٨، ٢٠٥. طبعة سنة ١٨٨٢م.

«.. مع أن المعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل لما أَخلَّت بالحقوق، بتوفيقها على الوقت والحالة... ومن أمعن النظر فى كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية، حيث بوبوا للمعاملات الشرعية أبوابًا مستوعبة للأحكام التجارية، كالشركة، والمضاربة، والقرض، والمخابرة، والعارية، والصلح، وغيرذلك... إن بحر الشريعة الغراء على تفرع مشارعه، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها بالسقى والرى، ولم تخرج الأحكام السياسية عن المذاهب الشرعية، لأنها أصل، وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع»(١).

لم تجد «صيحة التحذير» التى أطلقها الطهطاوى، فى مواجهة الاختراق العلماني لمؤسساتنا القضائية والتشريعية.. بل جاء «عموم بلوى الاختراق» عندما احتل الإنجليز مصر [١٢٩٩هـ- ١٨٨٢م].. ففي العام التالى، عمم الاحتلال القانون الأجنبى فى عموم القضاء الأهلي المصرى..

ففى ٢٤ جمادي الآخرة سنة ١٣٠٠ هـ، مايو سنة ١٨٨٣م صدر القانون المدني، والقانون التجاري، وقانون التجارة البحريّ، وقانون المرافعات- على حالها الذى كانت عليه فى المحاكم المختلطة- وصدرت قوانين العقوبات، وتحقيق الجنايات- مع بعض التعديلات.. ولم يأت

---

(١) [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي] ج١ ص ٥٤٤، ٣٦٩، ٣٧٠. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

١٣ نوفمبر سنة ١٨٨٣م حتى كـانت القوانين قد «تَعَلْمَنَتْ» فى القضاء الأهلي المصري! (١)

وإذا كان الطهطاوى قد أشار إلى أن تقنين مبـادئ الشريعة الإسلامية وفقـه معامـلاتها «بتوفـيقهـا على الوقت والحالة»، هو تقـديم للبديل الإسلامي، فى مـواجهـة الاختراق التـشريعي العَلمـانيّ، فإن تلمـيذه محمد قدري باشـا [١٢٣٧-١٣٠٦هـ -١٨٢١-١٨٨٨م] قد اجتهد فى تقنين هذا البديل الإسلامي، فقدم لمكتبة القانون الإسلامي:

١- كتاب [مرشد الحيران فى معرفة أحوال الإنسان] فى المعاملات الشرعية.

٢- وكتاب [قانون العدل والإنصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف].

٣- وكتاب [تطبيق ما وجد فى القانون المدني موافقًا لمذهب أبى حنيفة].

٤- وكتاب [الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية](٢).

مبـرهنًا بذلك على استمرار المـقاومة الإسلامـية لاختراق العلمـانية الغربية عقلنا القانوني ومؤسسات القضاء والتشريع فى بلادنا.

وعلى هذا الدرب، الذى اخـتطه الطهطاوى «للإصلاح بـالإسلام» ولتجديد دنيـانا بتجديد ديننا، سار الأستـاذ الإمام الشيخ محمـد عبده

---

(١) الرافعي [عصر إسـماعيل] ج٢ ص ٢٤٠. و[مصر والسودان في أوائل عـهد الاحتلال] ص ٦٥- ٦٨. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦.

(٢) الزركلي [الأعلام] طبعـة بيروت. وسركيس [معـجم المطبوعات العربية والمعـربة] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م.

(١٢٦٦-١٣٢٣هـ-١٨٤٩-١٩٠٥م) الذى انتقد النزعة المادية للمدنية الأوربية (مدنية الذهب والفضة)[١]..

ولفت النظر إلى تميز الإسلام، الذى (ظهر، لا روحيًا مجردًا، ولا جسدانيًا جامدًا، بل إنسانياً وسطًا بين ذلك، آخذًا من كلا القبيلين بنصيب، فتوفر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره، وصار المدرسة الأولى التي يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية.. والذي جمع بين الدين والشرع، فلم يعرف ما يسميه الإفرنج «ثيو كرتيك» أي سلطان إلهي.... وفي ذات الوقت لم يدع ما لقيصر لقيصر، بل كان من شأنه أن يكون كمالاً للشخص وألفة فى البيت، ونظامًا للملك، امتازت به الأمم التى دخلت فيه عن سواها ممن لم يدخل فيه»[٢].

ثم حكم بأن سبيل الدين لمريد الإصلاح فى المسلمين سبيل لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين [أى العلمانية] هو بذر غير صالح للتربة، لا ينبت، ويضيع تعبه، ويخفق سعيه.. فما لم تكن المعارف والآداب مبنية على أصول الدين فلا أثر لها فى النفوس.. وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق، وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ما ليس

(١) [الأعمال الكاملة] ج٣- ٢٠٥. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص ٢٢٥,٢٢٦، ٢٣٣، ٢٨٥,٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨.

لهم فى غيـره. وهو حـاضـر لديهم، والعناء فى إرجـاعـهم إليـه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به، فلمَ العدول عنه إلى غيره؟!...»[1].

فواصلت مدرسة الإحياء والتـجديد الدينى- التى قادها جمال الدين الأفـغانى [١٢٥٤- ١٣١٤هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] - وأغـنى إبداعهـا محـمد عبده -وحـملت رسالتهـا [المنار] للشيخ رشيـد رضا [١٢٨٢-١٣٥٤هـ-١٨٦٥-١٩٣٥م]. على امتداد أربعيـن عامًا -واصلت رسالة المقاومـة للاختراق العلمانيّ، إلى أن حـملت الرايات جماعـات اليقظة الإسلامـية وحركـاتها، تلك التى انتـقلت بهذه المقـاومة -بعد سـقوط الخلافة [١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م] من إطار «الصفوة» إلى إطار «الجماهير».

***

(١) الأعمال الكاملة. ج٣ ص ١٠٩، ٢٣١.

الأصول الإسلاميَّة لرفض العَلْمانية

وإذا كان التصور الأرسطىّ لنطاق عـمل الذات الإلهية- هو «الخلق» دون «الرعاية والتـدبير» للعالـم والطبـيعة والعمـران الإنساني. . . وهو التـصور الذى لم يناقـضه التـصور النصـرانىّ -الذى ترك ما لـقيـصر لقيصـر، دون تدخل من الله فى ما لقيـصر. . . والذى دعمته فـلسفة التـشريع الرومـانية - التى جـعلت مـقاصـد التشـريع تحقـيق «المنافع والمصالح» الدنيوية، دونما ربط لها بالأخلاقيات الدينية أو القيم الإيمانية أو السعادة الأخروية. .

إذا كانت هذه التصورات والمنطلقات فى الموروث الحضاري الغربيّ قد فتحت الـطريق أمام رد الفعل العلماني على اسـتبداد الكنيسـة واحتكار اللاهوت للدنيا والدولة والاجتماع والمعارف والعلوم، بحسبان العلمانية، التى تعزل السـماء عن الأرض، وتحرر الـعمران الإنسـانيّ من الضوابط الدينيـة، وتطلق الحرية للإنسـان فى سيـاسة المجـتمع كـسيـد للكون. بحسبان هذه العلمانيـة هى الأقرب للتصور الأرسطى لنطاق عمل الذات الإلهية، ولدعوة النصرانية أن نترك ما لقيـصر لقيصر، ولفلسفة التشريع الرومانى فى تحرير القانون من القيم الإيمانية والمقاصد الشرعية. .

إذا كان هذا هو «حال القضية» فى النموذج الحضاريّ الغربيّ. . فإن أمرها ليس كذلك فى السياق الإسلامى. .

فالتصور الإسلامى لنطاق عمل الذات الإلهية يتعدى حدود الخلق للمخلوقات إلى حيث يكون الله، سبحانه وتعالى، أيضًا الراعى والمدبر لكل عوالم وأمم وعمران المخلوقات.

لقد سفّه القرآن الكريم تصور الوثنية الجاهلية -وهو ذاته التصور الأرسطيّ -لنطاق عمل الذات الإلهية- فهو فى التَّصَوُّرين مجرد خالق، بينما التدبير للدنيا والعمران موكول -فى الأرسطية- إلى الإنسان والأسباب المودعة في الطبيعة وظواهرها- وهو فى الوثنية الجاهلية- موكول إلى الشركاء والأصنام والطواغيت...

سفّه القرآن الكريم هذا التصورعندما قال ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [الزمر: ٣٨].. فَجَعْلُ الخلق لله، والتدبير لغير الله تصور جاهلى مرفوض ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

فهذه القسمة -الشبيهة بالمفهوم العلماني لشعار: «الدين لله والوطن للجميع»!- هى سوء حكم للجاهلين يسفهها القرآن و يرفضها التصور الإسلامى لنطاق عمل الذات الإلهية.. وفى مقابل ذلك يقدم الإسلام تصوره لنطاق عمل الذات الإلهية خالق كل شىء؛ ومدبر كل أمر؛

حتى ما هو مقـدور للإنسان؛ وداخل فى نطاق قدرته وإرادته وفعله هو فيـه خليفة لله سـبحانه وتعـالى، يدبره الإنسان بإرادة إلهـية وتكليف شـرعىّ كـخليفـة لله ملتـزم بشـريعتـه التى تمثل بنود عـقـد وعهـد الاستخلاف، وكعبد لسيـد الوجود، وليس كسيد لهذا الوجود فلله فى التصـور الإسلامى «الخلق والتـدبير» جـميـعًا ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩، ٥٠] .. فليس التـصور الإسلامى لنـطاق عمل الذات الإلهية بالذى يحدد نطاق عمل الله فى الخلق وحده، محررًا الطبيـعة والعالم والاجـتماع والإنسان من مـعالم وضوابط التـدبير الإلهيّ والرعاية الإلهـية لعوالم المخلـوقات.. فكل شىء، فى هذا التصـور الإسلامي، هو للـه، حتى ما هو للإنـسان فهـو له بحكم الاستخـلاف والوكالة والنيابة لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وكفى بهذه الآية وحدها معبرة عن إيمان المسلم بالحضور والتـدبير الإلهي فى كـل شىء.. حتى لتبلغ الحرية الإنسانية ذروتها إذا بلغ المؤمن ذروة العبودية لله؟!...

لقد استأثر، سبحانه، بالخلق والأمر -أى بالإيجاد والتدبير جميعًا. . .

واستخلفنا فى استعمار الأرض، فجعل لنا الشورى فى الأمر والتدبير للعمران، والإرادة والقدرة والاستطاعة لإقامة الدين وصناعة العمران وصياغة الحياة وتحديد مسارات التواريخ، كخلفاء لله ﴿ **فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الشورى: ٣٨] . . ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء: ٥٩]. ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء: ٨٣].

هكذا يقطع التصور الإسلامى لنطاق عمل الذات الإلهية الطريق على العلمانية، فمحال أن يجتمع ويتوافق فى قلب المسلم تصور الله مدبرا لكل شىء وراعيًا لكل أمر، مع تصور عزل السماء عن الأرض وتحرير العمران الإنسانى من ضوابط وحدود تدبير الله. . .

وكما تميز ميراثنا الحضارى عن الميراث الحضاري الغربيّ، فى تصور نطاق عمل الذات الإلهية، ومن ثم في مكانة الإنسان فى هذا الوجود. . كذلك تميزت فلسفة التشريع في النسق القانونيّ الإسلاميّ - سواء فى مبادئ الشريعة الإسلامية وقواعدها ومقاصدها- والتى هى «وضع آلهي»- أو فى فقه معاملاتها- الذى هو إبداع فقهاء المسلمين

المحكوم بمبادئ الشريعة الإسلامية وقواعدها وحدودها ومقاصدها-. . . تميزت فلسفة الإسلام فى التشريع عندما ربطت «المنفعة» بـ«الأخلاق» و«المصلحة» بـ«المقاصد الشرعية» و«سعادة الدنيا» بـ«النجاة يوم الدين». . فأغلقت هذه الفلسفة التشريعية الإسلامية الطريق أمام القانون الوضعيّ- العلمانيّ- مانعة إمكان تعايشه مع النسق التشريعيّ الذى يحكم سلطات الأمة فى التقنين بسيادة حاكمية الوضع الإلهي لحدود الشريعة ومبادئها وقواعدها ومقاصدها . . «فالمصلحة» التى يتغياها القانون الإسلامي هي «المصلحة الشرعية المعتبرة» وليست مطلق «المصلحة». . و«المنفعة» التى يريد الفقه الإسلامى جلبها ليست اللذة أو الشهوة أو مطلق المنفعة، بالمعايير الدنيوية الخالصة للدنيا، ذلك لأن المسلم لا يمحض ربه «صلاته» و«نسكه» فقط، وإنما يمحضه مع الصلاة والنسك، جماع المحيا والممات ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وهذه الحقيقة من حقائق تميز فلسفة التشريع والتقنين الإسلامية عن نظيرتها الرومانية والغربية، هى مما أجمع عليه أهل العلم، مسلمين وغير مسلمين. . ويكفى أن نشير إلى شهادة مستشرق حجة فى القانون الغربيّ العلمانيّ وفى الفقه الإسلاميّ، هو (دافيد دى سانتيلانا) David de Sautillana [١٨٤٥-١٩٣١] فهو يقول عن فلسفة التشريع فى القانون الوضعيّ الغربيّ: «إن معنى الفقه والقانون بالنسبة إلينا وإلى الأسلاف:

مجموعة من القواعد السائدة التى أقرها الشعب، إما رأسًا أو عن طريق ممثليه. وسلطانه مستمد من الإرادة والادراك وأخلاق البشر وعاداتهم». فهو قانون «دنيوى» - أى «علمانيّ» خالص للدنيوية..

ويستطرد «سانتيلانا» مقارنًا هذه الفلسفة العلمانية بالفلسفة الإسلامية فى التشريع، فيقول: «... إلا أن التفسير الإسلامي للقانون هو خلاف ذلك.. فالخضوع للقانون الإسلامي هو واجب اجتماعيّ وفرض دينيّ فى الوقت نفسه، ومن ينتهك حرمته لا يأثم تجاه النظام الاجتماعى فقط، بل يقترف خطيئة دينية أيضًا. فالنظام القضائيُّ والدين، والقانون والأخلاق، هما شكلان لا ثالث لهما لتلك الإراة التى يستمد منها المجتمع الإسلاميّ وجوده وتعاليمه، فكل مسألة قانونية إنما هى مسألة ضمير.. والصبغة الأخلاقية تسود القانون لتوحد بين القواعد القانونية والتعاليم الأخلاقية توحيداً تامًا... والأخلاق والآداب، فى كل مسألة، ترسم حدود القانون... فالشريعة الإسلامية شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلا»(١).

وذات الحقيقة يؤكد عليها المستشرق السويسريُّ «مارسيل بوازار، الذى ينبه على تميز القانون الإسلاميِّ عن القانون الوضعيّ العلمانيّ في المصدر.. وفى المقاصد.. فيقول: «ومن المفيد أن نذكر فرقًا جوهريّاً بين الشريعة الإسلامية والتشريع الأوربيّ الحديث، سواء فى

(١) سانتيلانا [القانون والمجتمع] بحث في كتاب [تراث الإسلام] ص ٤١١، ٤٣٨، ٤٣١. ترجمة جرجيس فتح الله. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢.

مصدريهما المتخالفين أو فى أهدافهما النهائية.. فمصدر القانون في الديموقراطية الغربية هو: إرادة الشعب، وهدفه: النظام والعدل داخل المجتمع، أما الإسلام. فالقانون صادر عن الله، وبناء عليه يصير الهدف الأساسيُّ الذى ينشده المؤمن هو البحث عن التقرب إلى الله، باحترام الوحى والتقيد به.. فالسلطة في الإسلام تفرض عددًا من المعايير الأخلاقية ... بينما تسمح فى الطابع الغربيّ أن يختار الناس المعايير حسب الاحتياجات والرغبات السائدة فى عصرهم....»[١].

وهكذا تحُول الفلسفة المتميزة للتشريع الإسلاميّ بين المسلم وبين قبول القانون الوضعيّ العلمانيّ- كما يحول التصور الإسلاميّ لنطاق عمل الذات الإلهية، ولمكانة الإنسان فى الكون، بين المسلم وبين قبول العلمانية جملة وتفصيلاً...

***

ولأن هذه هى حقيقة تميز النسق الفكريّ الإسلاميّ -المنطلق من البلاغ القرآنيّ ومن البيان النبوىّ لهذا البلاغ -كانت جذور المقاومة الإسلامية لانفلات «الدولة» من «الدين» ولتحرر «المجتمع» من «الشريعة» أبعد فى تراثنا الإسلامى من المواجهة مع العلمانية الغربية الوافدة إلينا فى ركاب الغزوة الاستعمارية الحديثة..

---

(١) لواء أحمد عبد الوهاب [الإسلام في الفكر الغربّي) نصوص ص ٨١-٨٣. طبعة القاهرة سنتة ١٩٩٣م.

فالتعاقد الدستوريّ، الذى تقوم به «الدولة»، ليس مجرد تراض بين «المحكومين» و«الحاكمين»- كما هو حاله فى الفكر السياسيّ - الوضعيّ- وإنما لا بدّ فى هذا التعاقد الدستوريّ، كى يكون إسلامياً، من أن تكون المرجعية فيه دينية- لله والرسول- أى للوحي الإلهيّ والسنة النبوية.. فإسلامية الدولة، وإسلامية التعاقد الدستوريّ الذى تتأسس عليه، مبدأ شرعيّ، ووضع إلهيٌّ ثابت.. تحدث عنه القرآن الكريم في آيات سورة النساء: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا** ﴾ [النساء ٥٨ : ٦٠].

١- فعلى ولاة الأمر أداء الأمانات لأهلها والحكم بالعدل بين الناس..

٢- ولقاء ذلك لهم طاعة المؤمنين..

٢- وطاعة المحكومين لأولى الأمر تالية لطاعة الجميع لله وللرسول، أى للكتاب والسنة..

٤- وشرط تحقق واكتمال الإيمان الدينيّ، بالله واليوم والآخر، أن تكون مرجعية هذا التعاقد الدستوريّ هى الكتاب والسنة.. وإلا كان هذا الإيمان زعمًا وادعاء؛ لأنه إن لم تكن المرجعية فى الدولة لله والرسول، فهى للطاغوت!.

هكذا حسم القرآن المرجعية الإسلامية للدولة الإسلامية.

ولقد صاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ القرآنى - للمرجعية الدينية فى التعاقد الدستوريّ على إقامة الدولة -صاغه «مادة» فى أول دستور لأول دولة إسلامية - فى «الصحيفة» التى مثلت دستور دولة المدينة -نصت على: «.. وما كان بين أهل هذه الصحيفة من اشتجار يُخشى فساده، فمرده إلى الله وإلى محمد...»[1].

وأكد ذلك الخليفة الأول أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، فى أول خطاب له عقب اختياره والبيعة له بالخلافة، فقال: (**أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم...**) فبلغ الربط بين إسلامية الدولة -يجعل المرجعية الدينية شرط قيام واستمرار التعاقد الدستوريّ على إقامتها- فى التجربة التاريخية -التى يقيس عليها المسلمون- بلغ هذا الربط فى الحسم والوضوح هذا الحدّ الذي ميز دولة الإسلام عن كثير من الدول التى عرفتها كثير من الأنساق الفكرية الأخرى.

---

(١) دكتور [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبويّ والخلافة الراشدة] ص ٢٠. جمعها وحققها: دكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦.

لقد عرف التاريخ الإنسانيّ:

١- دول الاستبداد، التى تحكم بالهوى والشهوة والقوة.

٢- ودول الكهانة الدينية، والعصمة المقدسة، والحكم بالحق الإلهيّ وفيها زعم الحكام النيابة عن السماء، مسقطين الأمة من الحسبان..

٣- ودول السياسة العقلانية -ومنها الدول العلمانية- التى يدبر حكامها مجتمعاتها بسياسة العقل والمصلحة المتحررة من المرجعية الدينية... وديمقراطيات هذا النمط من الدولة، ينوب فيها الحكام عن الأمة، مسقطين الدين والشريعة الإلهية من مرجعية السياسة والتدبير..

٤- أما الدولة الإسلامية، فإنها نمط متميز وفريد.. فهى إسلامية المرجعية، ومدنية النظم، التى تقاس إسلاميتها بمدى تحقيقها للمبادئ والمقاصد الشرعية.. **وفيها تجتمع المرجعية الدينية- سيادة الشريعة- وسلطة الأمة- المستخلفة لله- ونيابة الدولة عن الأمة.. وبذلك تبرأ من سلبيات دول الكهانة الدينية والدول العلمانية جميعًا.**

وكما استقر هذا التميز للدولة الإسلامية فى أصول ديننا، وفى دولة النبوة والخلافة الراشدة.. فلقد استقر كذلك فى الفكر الإسلاميّ، السابق على ظهور العلمانية الغربية، وعلى عصر اختراقها لعالمنا الإسلاميّ، وعلى تصدِّي فكرنا الإسلاميّ الحديث لهذا الاختراق.

ورحم الله ابن خلدون [٧٣٢-٨٠٨هـ-١٣٢٢-١٤٠٦م].

فيلسوف العمران الإسلاميّ والإنسانيّ- الذى صاغ كل ذلك، فى دقة ووضوح، وهو يتحدث عن أنواع الحكم وفلسفات الدول، فقال:

«. . . ولما كانت حقيقة الملك: أنه الاجتماع الضرورىّ للبشر. . وجب أن يرجع فى ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها.

فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسية عقلية.

وإذا كانت مفروضة من الله، بشارع يقررها ويشرعها، كانت سياسة دينية نافعة فى الحياة وفى الآخرة. وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط. . فالمقصود بهم إنما هو دينهم المفضى بهم إلى السعادة فى آخرتهم. . فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك فى جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة، حتى فى المُلْك، الذى هو طبيعى للاجتماع الإنسانيّ، فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطًا بنظر الشارع. فما كان من المُلْك بمقتضى القهر والتغلب، فجور وعدوان ومذموم عند الشرع، كما هو مقتضى الحكمة السياسية. وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضًا، لأنه نظر بغير نور الله: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ [النور: ٤٠]، لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم. وأعمال البشر كلها عائدة عليهم فى معادهم، من ملك أو غيره. . وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الروم: ٧]. ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم، فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية

فى أحوال دنيـاهم وآخرتهم، وكـان هذا الحكم لأهل الشريـعة وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم، وهم الخلفاء.

فقد تبين لك من ذلك .. أن:

١- **الـمُلْك الطبيعيّ**: هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة.

٢- **والسيـاسيّ**: هو حمل الكافـة على مقتضى الـنظر العقليّ فى جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار.

٣- **والخلافة**: هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعيّ فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليـها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهى، فى الحقيقة: خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به...»[١].

فالدولة العَلمانية هى التى تسوس المجتمع «بمقتضى السياسة العقلية» التى تتغيا «تحقيق المصالح الدنيويةوحدها».

بينما الدولة الإسـلامية,ة هى التى تنطلق من الشرع، لتتـغيا صلاح الدنيا والآخرة جميعًـا.. فالأولى تنظر بنظر «العقل المجرد عن الشرع» .. بينما الثانية -الإسلامية- تنظر «بالعقل فى الشرع»..

وكمـا يقول الإمـام الغزالىّ [٤٥٠-٥٠٥هـ-١٠٥٨-١١١١م] «**فإن العقل مع الشرع نور على نور**»[٢]!.

---

(١) [المقدمة] ص ١٥٠-١٥١. طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.

(٢) [الاقتصاد في الاعتقاد] ص ٣ طبعة القاهرة. -محمود علي صبيح- بدون تاريخ.

تلك هى «العلمانية» التوجه.. والنشأة.. والملابسات.. وهكذا كان وفودها إلى عـالم الإسلام، فى ركاب الغزوة الاسـتعمارية الحـديثة.. واختراقها لمؤسسات القضاء والتشريع فى بلادنا..

وهذا هو مـوقـف الإسـلام والفكر الإسـلاميِّ منـهـا، سـواء فى اجتهادات تيار الإحيـاء والتجديد الحديث.. أو فى الأصول والمنطلقات الإسلامية .. أو فى إبداع فكرنا الإسلامىّ الوسيط..

***

المتغربون .. العَلْمانيون

أما الذين انبهروا -من مثقفينا المحدثين- بالعلمانية الغربيةو فتبنوها ودعوا إلى سلوك طريقها فى نهضتنا، كما حدث للغربيين فى نهضتهم.. وقالوا عن علاقة الدين بتدبير الدولة والمجتمع والعمران:

«يا بُعد ما بين السياسة والدين...»[1].

و**«إن السياسة شيء والدين شيء آخر.. وإن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسًا للوحدة السياسية ولا قوامًا لتكوين الأوطان»**[2].

فلقد كانوا هم الذين نظروا إلى إسلامنا بمنظار نصرانيّ -فسووا- فى علاقة الدين بالدولة والسياسة- بين الإسلام والنصرانية.. كما نظروا إلى تراثنا وحضارتنا، وإلى «العقل الشرقيّ والمسلم» الذى أبدع هذا التراث وصنع الحضارة، بمنظار غربيّ.. فرأوا الخلافة الإسلامية «كهانة مستبدة تحكم بالحق الإلهيّ المقدس»، ورأوا فى العقل المسلم عقلاً يونانيًا، منذ القدم، وبعد التدين بالإسلام، لأن القرآن -عندهم- كالإنجيل.. والإسلام -عندهم- كالنصرانية.. ومحمد صلى الله عليه وسلم عندهم -كان كالخالين من الرسل، لا شأن له بسياسة الدولة أو تدبير الاجتماع أو بناء العمران؟!

---

(١) علي عبد الرازق [الإسلام وأصول الحكم] ص ٦٩. طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥م.

(٢) دكتور طه حسين [مستقبل الثقافة في مصر] ج١ ص ١٦، ١٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

لقد «ضُربت» عقولهم فى «مصانع الفكر الغربيّ»، فقالوا: إن العقل الشرقيّ هو -كالعقل الأوربيّ- مرده إلى عناصر ثلاثة:

«حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن.

وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه.

والمسيحية وما فيها من دعوى إلى الخير وحث على الإحسان».

وكما لم يغير الإنجيل من الطابع اليونانيّ للعقل الأوربيّ. فكذلك القرآن، لم يغير من الطابع اليونانيّ للعقل الشرقيّ؛ لأن القرآن إنما جاء متممًا ومصدقًا لما فى الإنجيل[1].. وإن الحضارة العربية والحضارة الفرنسية يقومان على أساس واحد، هو فى نهاية الأمر الحضارة اليونانية اللاتينية[2]»؟!.

لقد شوهت المناهج الغربية رؤاهم وزيفت وعيهم، فرأوا إسلامنا نصرانية.. وخلافتنا كهانة.. وقرآننا إنجيلاً.. وشريعتنا قانونًا رومانيًا.. ومن ثم رأوا «الحل العلمانيّ» هو طريقنا إلى النهوض، كما كان حاله فى سياق النهضة الأوربية الحديثة.

وإذا كان هذا «التغرب» أمرًا قابلا «للتفسير»، دون «التبرير».. فإن الأمر الذى يبلغ فى الغرابة حد «الكارثة» هوالموقع الذى قادت إليه

---

(١) دكتور طه حسين [مستقبل الثقافة فى مصر] ج١ص ٢٩، ٢١، ٢٢.

(٢) دكتور طه حسين [من الشاطئ الآخر] نصوصه الفرنسية التي جمعت وترجمت بعد وفاته -جمعها وترجمها: عبد الرشيد الصادق المحموديّ ص ١٩١، ١٩٢. طبعة بيروت سنة ١٩٩٠.

العلمانيـة بعضًا من مـثقفينا الـذين تمذهبوا بمذهبهـا . . موقع التبعـية للحضارة الغـربية الغازية، والولاء للمركزية الغـربية العنصرية . . بل وإعلان التـسليم والاسـتسلام لإرادة الغـرب فى استـلابنا واحتـوائنا وإلحاقنا بنموذجه الحضاريّ «فى الإدارة . . والحكم . . والتشريع» . . وإلا فـمـاذا تعنيـه كلمات الدكـتـور طه حسين [١٣٠٦-١٣٩٣هـ ١٨٨٩-١٩٧٣م]: (**لقـد التـزمنا أمـام أوربـا أن نذهب مـذهـبـهـا فى الحكم،ونسير سيرتها فى الإدارة، ونسـلك طريقها فى التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوربا. وهل كـان إمـضـاء معـاهدة الاسـتـقـلال [سنة ١٩٣٦م] ومعـاهدة إلغاء الامتـيازات [سنة ١٩٣٨م] إلا التزامًا صـريحًا قاطعًـا أمام العـالم المتـحـضـر بـأننا سنسـيـر سـيرة الأوربيـن فى الحكم والإدارة والتشريع؟**»[1].

إن هذا (الاعـتـراف) العلمـانيّ (بالالتـزام) بما ألزمنا به الغـرب، من أن «نسـير سيـرة الأوربيين فى الحكم والإدارة والتـشريع» .. ينقل قـضيـة تبنى **العلمـانيـة فى بلادنا إلى مسـتـوى آخر.. فـالقـضـية تـتـجـاوز أحيـانًا دائرة الاختـلاف فى الفكر، لتصب -بوعى أو بغـير وعى- فى خانة التـفريط فى الاستـقلال؟!** .. وإذا كان الدكـتور طه حسـين قد تجاوز هذا الانبـهار بالغرب، والالتزام بما سعت أوربا إلى إلزامنا به [2] . .

---

(١) [مستقبل الثقافة فى مصر] ج ١ ص ٣٦، ٣٧.

(٢) انظر كتابنا [الإسلام والسياسة] ص ١١٨-١٣١. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

فإن كلمـاته هذه تذكرنا بكلمات مـوقظ الشرق وفيلسـوف الإسلام جمال الدين الأفغانى، التى قال فيها: «**لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمـة، المنتحلين أطوار غيرها، يكونون فيهـا منافذ لتطرق الأعـداء إليهـا.. وطلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات، يمهدون لهم السبيل، ويفتحـون الأبواب، ثم يثبتـون أقدامهم**[(١)]»؟! **فإسلاميـة الدولة.. وإسلامية القانون، فضـلا عن أنهما من فرائض الإسلام، فـإنهما من معالم الاستقلال الحضاري للأمة الإسلامية ولديار الإسلام.**

***

(١) [الأعمـال الكاملة لجمـال الدين الأفغـاني] ص ١٩٦، ١٩٧. دراسة وتحـقيق: دكـتور محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

[٢]

عَلْمَانيةُ المدفعِ والإنجيل

كأس العلمانية المسموم!

كانت العلمانية الغربية، التى عزلت السماء عن الأرض، وأحلَّت «العقل والعلم والفلسفة» -أى منظومة التنوير الغربيِّ- محلَّ «الله والكنيسة واللاهوت»، وجعلت من الحداثة «دينًا طبيعيًا» أحلته محل «الدين الإلهي»..

كانت -هذه العلمانية- بمثابة «الكأس المسموم» الذى تجرعته المسيحية الغربية، فترنحت، وأصابها الإعياء والعجز والتهميش.. وبشهادة أحد الخبراء الألمان، عالم الاجتماع والقس (جوتفرايد كونزلن): «**فلقد مثلت العلمانية: تراجع السلطة المسيحية- وضياع أهميتها الدينية.. وتحول معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية.. والفصل النهائى بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية.. وسيادة مبدأ: دين بلا سياسة، وسياسة بلا دين.. لقد نبعت العلمانية من التنوير الغربي.. وجاءت ثمرة لصراع العقل مع الدين، وانتصاره عليه، باعتباره مجرد أثر لحقبة من حقب التاريخ البشري، يتلاشى باطراد فى مسار التطور الإنساني.. ومن نتائج العلمانية: فقدان المسيحية لأهميتها فقدانًا كاملا.. وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم.. بل وزوال أهميته أيضًا كقوة موجِّهة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من الناس، وللحياة بشكل عام.. فسلطة الدولة، وليست الحقيقة، هى التى تصنع القانون.. وهى التى تمنح الحرية الدينية.**

ولقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها دينًا حلّ محلّ الدين المسيحيّ، بفهم الوجود بقوى دنيوية، هى العقل والعلم... لكن .. وبعد تلاشي المسيحية.. سرعان ما عجزت العلمانية عن الإجابة على أسئلة الإنسان، التى كان الدين يَقدِّم لها الإجابات..فالقناعات العقلية أصبحت مفتقرة إلى اليقين.. وغدت الحداثة العلمانية غير واثقة من نفسها، بل وتفكك أنساقها العقلية والعلمية عدمية ما بعد الحداثة..

فدخلت الثقافة العلمانية فى أزمة بعد أن أدخلت الدين المسيحي فى أزمة.. فالإنهاك الذى أصاب المسيحية أعقبه إعياء أصاب كل العصر العلماني الحديث.. وتحققت نبوءة «نيتشة»[١٨٤٤-١٩٠٠م] عن «إفراز التطور الثقافي الغربي لأناس يفقدون نجمهم الذى فوقهم، ويحيون حياة تافهة، ذات بعد واحد، لا يعرف الواحد منهم شيئًا خارج نطاقه»..

وبعبارة «ماكس فيبر» [١٨٦٤-١٩٢٠م]: «لقد أصبح هناك أخصائيون لا روح لهم، وعلماء لا قلوب لهم».

ولأن الاهتمام الإنسانيّ بالدين لم يتلاشَ، بل تزايد.. وفى ظلّ انحسار المسيحية، انفتح باب أوربا لضروب من الروحانيات وخليط من العقائد الدينية لا علاقة لها بالمسيحية ولا بالكنيسة «من التنجيم.. إلى عبادة القوى الخفية.. والخارقة.. والاعتقاد بالأشباح.. وطقوس الهنود الحمر.. وروحانيات الديانات الأسيوية.. والإسلام الذى أخذ يحقق نجاحًا متزايدًا فى المجتمعات الغربية..

لقد أزالت العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوربا.. ثم عجزت عن تحقيق سيادة دينها العلماني على الإنسان الأوربي، عندما أصبح معبدها العلمى عتيقًا!.. ففقد الناس «النجم» الذى كانوا به يهتدون: وعْد الخلاص المسيحى.. ثم وعد الخلاص العلماني..!»[1].

تلك شهادة خبير غربى -فى الدين والاجتماع معًا -على تجرُّع المسيحية الغربية لكأس العلمانية المسموم، الذى أصابها بالهزال والإعياء والتهميش.. فكان الفراغ الروحى الذى سقطت فيه الشعوب الأوربية.. وخاصة بعد إفلاس الحداثة ودينها الطبيعى.

***

(١) جوتفرايد كونزلين: [مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا] ص ١٧، ١٨. تقديم وتعليق: دكتور محمد عمارة. طبعة نهضة مصر-القاهرة سنة ١٩٩٩م.

حقائق وأرقام على أرض الواقع

وعلى أرض الواقع، وبالحقائق والأرقام:

- **فإن الذين يؤمنون -فى أوربا- بوجود إله- مجرد وجود إله- لا يتعدون** ١٤٪ من الأوربيين!.

- **والذين يواظبون على حضور القداس بالكنيسة** - مرة فى الأسبوع فى **فرنسا**- بنت الكاثولوكية وأكبر بلادها- أقل من ٥ ٪ من السكان- أى أقل من ثلاثة ملايين فرنسي- أى أقل من نصف عدد المسلمين فى فرنسا!.

- **وفى ألمانيا، توقَّف القدَّاس فى ١٠٠ كنيسة من أصل ٣٥٠** كنيسة فى أبرشية (أيسن) بسبب قلة الزوار، الأمر الذى زاد من عدد الكنائس المعروضة للبيع، والتحول إلى أغراض أخرى -من مثل: المطاعم والملاهى.. وحتى المساجد- .. بينما ارتفع عدد المساجد-فى ألمانيا- من ١٤١ إلى ١٨٧ فى عامى سنة ٢٠٠٥ م وسنة ٢٠٠٦ وحدهما! وبلغت نسبة المواليد المسلمين ١٠٪ من جملة المواليد فى السنوات العشر الأخيرة!..

- **وفى انجلترا**، صنفت أكثر من ١,٦٠٠ كنيسة -أى ١٠ ٪ من الكنائس الإنجليزية- رسمياً باعتبارها زائدة عن الحاجة، ومعروضة للبيع.. فى الوقت الذى يتحدثون فيه عن أن عدد المسلمين الإنجليز الملتزمين دينياً سيتفوّق -فى العقود القادمة- على نظرائهم الإنجليكانيين!..

ومع أن نسبة المسلمين فى إنجلترا هى ٣٪ من السكان، فإن المواليد الذين أطلق عليهم اسم «محمد» سنة ٢٠٠٦م- يأتون فى المرتبة الثانية بعد اسم «جاك»![١].

- **وفى إيطاليا،** غَنَّت «مادونا» فى إحدى الكنائس التاريخية، بعد تحويلها إلى مطعم وملهى، وبعد تحويل «المذبح» إلى فرن للبيتزا!.

- **وفى جمهورية التشيك** لا يذهب للقداس سوى ٣٪ من السكان.. وتباع الكنائس التاريخية، لتتحول إلى مطاعم وملاهى .. ومعروض للبيع منها ١,٠٠٠ كنيسة، أى نصف عدد الكنائس فى جمهورية التشيك!.

- **وفى سنة ٢٠٠٧ أسلم ١١٤,٠٠٠ فى فرنسا وهولندا وألمانيا والجزء الشماليّ من بلجيكا والنمسا**[٢].

وهذا الواقع البائس الذى صنعته العلمانية بالمسيحية الأوربية هو الذى جعل بابا الفاتيكان «بنديكتوس السادس عشر» يعلن فى كتابه: «بلا جذور، الغرب، النسبية، المسيحية والإسلام» **سنة ٢٠٠٦م عن مخاوفه الثلاثة:**

---

(١) صحيفة [الحياة] لندن -في ٨-٥-٢٠٠٧. و[نيوز ويك] الأمريكية في ٢٧ -٢-٢٠٠٧. ومجلة [فوكس] الألمانية- نقلا عن صحيفة [المدينة] السعودية، ملحق [الرسالة] في ٢١-٩-٢٠٠٧م.

(٢) صحيفة [أويست فرانس] الفرنسية، نقلا عن صحيفة [الدعوة الإسلامية] -الليبية في ١- ٨- ٢٠٠٧م.

١- انقراض الأوربيين المسيحيين -وخاصة الألمان والإيطاليين والأسبان- بسبب تحلل الأسرة، وعدم الإنجاب، وزيادة نسبة الوفيات عن نسبة المواليد..

٢- وحلول الهجرات المسلمة- العربية والإفريقية- محل المسيحيين الأوربيين المنقرضين!.

٣- وأن تصبح أوربا «جزءاً من دار الإسلام» فى القرن الواحد والعشرين![1].

***

(١) جوزيف راتزنجر [بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر] -ومارسيلو بيرا: [بلا جذور، الغرب، النسبية، المسيحية والإسلام] طبعة نيويورك سنة ٢٠٠٦م. وانظر في ذلك -أيضًا- صحيفة [الشرق الأوسط] -لندن، ملحق «منتدي الكتب» في ٢٦ -٤-٢٠٠٦م. ودكتور محمد عمارة [الفاتيكان والإسلام] طبعة مكتبة الشروق الدولية -القاهرة سنة ٢٠٠٧م.

الروح الصليبية حية ومتوقدة
فى مواجهة الإسلام

هكذا صنعت العلمانية بالمسيحية فى أوربا..

لكن مؤسسات الهيمنة الاستعمارية الغربية، التى طاردت الدين واللاهوت فى بلادها، وهمشت دور الكنيسة فى مجتمعاتها، قد ظلت وفية للروح الصليبية فى مواجهتها مع الإسلام والمسلمين... واستمرت فى استخدام الدين والكنيسة والتنصير سلاحًا فى الزحف الإمبريالي على عالم الإسلام!..

فسلطاتها الاستعمارية تعمل على علمنة المسلمين، لكسر شوكة المقاومة الإسلامية للاستعمار الغربى، بتحويل الإسلام إلى روحانية فردية معزولة عن السياسة والاجتماع، مع فَتْحِ الأبواب والميادين للكنائس الغربية لتنصير المسلمين، وذلك لإتمام عملية التغريب والتبعية والإلحاق .. كى يتأبد النهب الاقتصادى والمسخ الحضارى- اللذين هما الهدف الأول للاستعمار...

فبعد ما يقرب من أربعين عامًا على انتصار الثورة الفرنسية -ذات التوجه العلمانى المتوحش- والتى همشت النصرانية وكنيستها- نجد الروح الصليبية حية ومتوقدة وحاقدة فى مواجهة الإسلام وأمته وحضارته، عند احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠م.

ويحكى رفاعة الطهطاوى [١٢١٦-١٢٩٠هـ-١٨٠١-١٨٧٣م] وكان شاهد عيان يومئذ بباريس- كيف **«أن المطران الفرنسى الكبير» لما سمع بأخذ الجزائر [أى احتلالها سنة ١٨٣٠م.]- ودخل الملك «شارل العاشر» [١٧٥٧-١٨٣٦م] الكنيسة يشكر الله على ذلك [!!] جاء إليه المطران ليهمنه على هذه النصرة، ومن جملة كلامه- ما معناه: إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على الملة الإسلامية، وما زالت كذلك»!**[1].

فالروح الصليبيـة حاضرة وحاقدة فى مواجهة الإسـلام وأمته وعالمه وهى توحِّد «الدولة» و«الكنيسة»، فى ظل العلمانية، كما كان الحال فى العصور الأوربية الوسطى، عندما تكون المواجهة مع الإسلام! وبعد قرن من الزمان على احتلال فرنسا للجزائر.. احتفلت فرنسا العلمانية بمرور قرن علـى احتلالـها لهـذا البلد المسلم سنة ١٩٣٠م. ويومئـذ لم تنس فرنسـا الروح الصليبية المعـادية للجزائر المسلمة، والحاقـدة على إسلام الجزائريين.. فخطب أحد كـبار الساسة الفرنسيـين فى مهرجانات هذه الاحتفالات، فقال:

«إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرءون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، وأن نقتلع العربية من ألسنتهم»!.

وخطب سياسيٌ آخـر، فقال: **«لا تظنوا أن هذه المهـرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة فى هذا الوطن، فلقـد قام الرومان قبلنا فـيه ثلاثة قرون، ومع**

---

(١) رفاعـة الطهطاوي [الأعمـال الكاملة] ج٢ ص ٢٢٠. دراسة وتحـقيق: دكتـور محـمد عمارة: طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

ذلك خرجوا منه. ألا فلتعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار»!!.

كما خطب أحد كرادلة الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية -بهذه المهرجانات- فقال: «إن عهد الهلال فى الجزائر قد غبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى الأبد.. وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهداً لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل»[1].

ولقد فطن المسلمون الجزائريون- فى تجربتهم مع الاستعمار الفرنسيِّ - إلى «أن موقف البورجوازية الفرنسية هذا هو مدعاة للعجب، فإن هذه البورجوازية نفذت حُكْمَ الإعدام فى القسس، وأحرقت الكنائس، وحاولت محو الدين المسيحي فى فرنسا المسيحية.. أما فى الجزائر، فقد اتخذت مسلكًا مخالفًا، فحولت المساجد إلى كنائس ومجَّدت المسيحية، واستخدمت أموال المسلمين لتنصيرهم! وهكذا أحيت الروح الصليبية عندما رفعت عَلَم المسيحية ضد الإسلام فى الوقت الذى ظلت تسخر فيه من المسيحية والإسلام فى آن واحد...»[2].

فالعلمانية الأوربية تطارد المسيحية فى بلادها.. لكنها تستخدمها فى مطاردة الإسلام إبان الزحف الإمبريالى على بلاد المسلمين!.

---

(١) انظر دراستنا عن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي- بكتابنا [من أعلام الإحياء الإسلامي] ص ١٢٤، ١٢٥) طبعة مكتبة الشروق الدولية- القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

(٢) دكتور محمود قاسم [الإمام عبد الحميد بن باديس] ص ١٠ طبعة دار المعاف القاهرة- ودكتور محمد عمارة [مسلمون ثوار] ص ٤٧٠ طبعة دار الشروق -القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

صور من التحالف بين المدفع العلمانى وإنجيل المنصِّرين

- ولقد ظل هذا حال الاستعمار الغربى دائمًا وأبدًا.. ففى مجتمعاته الأوربية يتبنى العلمانية التى تهمش المسيحية.. لكنه فى المستعمرات المسلمة يستخدم النصرانية الصليبية وكنائسها لإقامة القواعد الدينية- إلى جوار القواعد العسكرية -ولتنصير المسلمين، دعمًا للاحتلال، ولتأبيد النهب والتبعية والإلحاق..

صنع ذلك بواسطة إرساليات التبشير النصراني ومدارسها وجامعاتها ومؤسساتها الثقافية ومنابرها الإعلامية -فى المشرق العربيّ- تلك التى أعلن القناصل الفرنسيون أن الهدف منها هو «تكوين جيش متفانٍ فى خدمة فرنسا فى كل وقت.. وجعل البربرية العربية -[كذا]- تنحنى لا إراديا أمام الحضارة المسيحية لأوربا[1]».

-وعندما عقدت الكنائس الأمريكية مؤتمرها التنصيريّ الشهير -مؤتمر كولو رادو- فى مايو سنة ١٩٧٨م- أعلنت فيه الحرب الصليبية الجديدة على الإسلام، فقالت- فى وثائق هذا المؤتمر-:

«إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية.. والنظام الإسلامى هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً

(١) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية -سنوات. ١٨٤--١٨٤٢-١٨٤٨-١٨٩٧-١٨٩٨- انظر كتابنا [هل الإسلام هو الحل؟] ص ٢٢ طبعة دار الشروق القاهرة. سنة ٢٠٠٧م.

وسياسياً.. ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، لفهم الإسلام، ولاختراقه فى صدق ودهاء[!!..]. ولذلك، لا يوجد لدينا أمر أكثر أهمية وأولوية من موضوع تنصير المسلمين..

ولذلك، فعلى مديرى إرساليات أمريكا الشمالية والقادة المنَصِّرين الآخرين أن يكتشفوا ويوطدوا أساليب جديدة للتعاون والمشاركة مع كنائس العالم الثالث وعملها المنظم للوصول إلى المسلمين. لقد وطدنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة فى العالم الإسلامى.. إن نصارى البروتستانت فى الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا- منهمكون بصورة عميقة فى عملية تنصير المسلمين.. ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها، وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم.. وعلى المواطنين النصارى فى البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معًا، بروح تامة، من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين.. إذ يجب أن يتم كسب المسلمين عن طريق منصرين مقبولين من داخل مجتمعاتهم.. ويفضل النصارى العرب فى عملية التنصير.. إن تنصير هذه البلاد سيتم من خلال النصارى المنتمين إلى الكنائس المحلية، ويتم ذلك بعد تكوين جالية محلية نصرانية قوية...»[1].

---

(١) [التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى] الترجمة العربية لوثائق مؤتمر كولورادو- ص٤٥٢، ٢٢، ٢٣، ٧٨٩، ٧٩٠، ٥٣، ٥٦، ٤، ٥، ٦٢٧، ٦٣٠، ٣٨٣، ٨٤٥. طبعة مركز دراسات العالم الإسلامى- مالطا سنة ١٩٩١م. وطبعة مكتبة وهبة القاهرة ٢٠١٠م.

- وفى سبيل اختراق العالم الإسلامى، لتنفيذ هذا المخطط لتنصير المسلمين، نظَّرت هذه الكنائس وقعّدت «للمكيافيلية- الصليبية»، عندما أعلنت عن «صنع الكوارث» لاستخدام المعونات والمساعدات لتنصير الفقراء والمحتاجين المسلمين!!

فالاستعمار الغربيّ -وحكوماته العلمانية- ينهب ثروات المسلمين، ويحوّل جماهيرهم إلى فقراء ومعدمين.. وكنائس الدول الاستعمارية- تحت حماية المدافع الاستعمارية- تستخدم كسرة الخبز وجرعة الدواء لتحويل هؤلاء الفقراء المعدمين عن دين الإسلام إلى النصرانية الغربية».

وهكذا تمَّ ويتمُّ التحالف -غير المقدس- بين «المدفع العلمانى» و«إنجيل المنصرين»!..

نعم .. نظّرت وقعَّدت هذه الكنائس لهذه «الميكافيلية -الصليبية» فقالت -فى وثائق مؤتمر «كولورادوا»:

«لكى يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلابدَّ من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس -أفراداً وجماعات- خارج حالة التوازن التى اعتادوها! .. وقد تأتى هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، كالتفرقة العنصرية، أو الوضع الاجتماعى المتدني..

وفى غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية! ولذلك، فإن تقديم العون لذوى الحاجة قد أصبح أمراً مهمًا فى

عمليـة التنصير!!.. وإن إحـدى معجزات عـصرنا، أن احتـياجات كثـير من المجتمعـات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتهـا التى كانت تناهض العمل التنصيريّ، فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى»!![1]

«فالمدفع» العلمـاني الاستعماري الغـربى يجتـاح مـواطـن الـثـروات فى عالم الإسلام، لنهبها.. وفى سيل ذلك يصنع الكوارث التى تطحن الشعوب الإسلامية.. ثم يفتح الأبواب - تحت قهر المدافع -لإرساليات التنصير كى تقدّم العون والمساعـدة باسم يسوع المسيح، كى يبيع الفقراء والمعدمون إسلامهم لقاء كسرة خبز أو جرعة دواء!!.

- **ولقـد وضع هذا المخطط.. وهذه «الميكافـيليـة- الصليبـيـة» فى الممارسة والتطبيق.**

- **فهذه الكنائـس الأمريكية،** التى تتحكم فى القـوة الأمريكية الفرعـونية والقارونية -بواسطة «التحالف المسيحى» و«اليمين الدينى» و«المحافظين الجدد» قـد نصَّرت ربع سكان كـوريا الجنوبية.. أى أقـامت فى تلك البلاد «قاعدة دينية نصرانية» إلى جـوار «القواعد العسكرية الأمريكية» التى أقامتها فيها منذ سنة ١٩٤٥م.

وجعلـت من هذه «القاعـدة النصرانية». وهـى «كنيسة صـايمل»، التابعة لليمين الديني الأمريكـي- رأس حربة فى تنصير العالم، والعالم الإسلامى على وجه الخصوص.. حـتى أن عدد المنصرين الكوريين قد

(١) [التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى] الترجمة العربية لوثائق مؤتمر كولورادو: ص ٤٢٤، ٨٢٦، ٨٢٧، ٤٦٩، ٣٦٤، ١٤٧.

بلغ الرقم التالى للمنصِّرين الأمـريكان على النطاق العالمى!!.. وبقيادة الأمبـريالية الأمريكيـة- المفترض أنهـا علمانية- تزامل عَـمَلُ المنصِّرين الكوريين والجنود الـكوريين مع عَـمَل المَنصِّـرين الأمـريكيـين والجنود الأمريكييـن حيثما وجـد الغزو الأمريكى لبلاد المسلمـين.. من العراق إلى أفغانستان.. وحتى فى مناطق النفوذ والهيمنة الأمريكية.

ولإيضاح هذه الحقيقة- التى يجهلها أو يتجاهلها الكثيرون- فإن هذا الفرع الكورى للكنائس الأمريكية -كنيسة صايمل Church Saemml - لم تقف عنـد التنصـيـر لـلكوريين وتحـويلـهم عن ديانتـهم الـبـوذية والكونفوشـية فحسب.. وإنما اشـتغلت -مع الأمريكان -فى التنصـير للعالم.. فأرسلت... و١٦ منَصِّر كـورى إلى الدول الأسيوية، وكان نصيب البلاد الإسلامية ٢٥٪ من هؤلاء المنصرين الكوريين!.

ولقد كـان نصب أفغانستـان ملحوظًا فى هذا الجهد التنـصيرى.. فالغزو «الأمريكى -الأطلنطى» لأفغانستان سنة ٢٠٠١م قد قضى على مقومات الأمن الغذائي والصـحي للشعب الأفغـاني، ولم ينعش فى تلك البلاد سوى زراعة المخدرات- التى تضاعفت مساحتها ثلاث مرات!

وفى ظلِّ هذا الفـقر المدقع- الذى صنـعتـه «المدافع العلمانيـة» تمدد التنصير، الحامل «للإنجيل» مع كسرة الخبز وجرعة الدواء!

وشهـيرة تلك الأزمة التى تفـجـرت -إعـلامـيًا- فى ١٩ يـولـيـو سنة ٢٠٠٧م. عندما أسـرت «حركة طالـبان» ٢٣ منصِّرًا كـوريًا كانوا

يعملون علـى تنصير المسلمين فى أفغـانستان- التى ليـس فى شعبـها نصـراني واحدا!- ويـجعلون ضـحـاياهم يغنون: «**إننى الآن أفـهم حب يســوع. هالالويا. إننى الآن نـظيف- [وكـأن الإسـلام هو القـذارة] وقـد أصبحت شخصًا آخر.آمين**».

ولقد قـامت حركـة طالبان بإعـدام: أحد هؤلاء المَنَصِّـرين - القس «باى هيونج كيو» Pastor Hyun Kuae فى ٢٦ يوليو سنة ٢٠٠٧م.

.. ثم أفرجت عن الباقين- الذين كـان أغلبهم نساء- لقاء فدية.. وبعد تـعُّهد الحكـومة الكورية الجنوبيـة- فى ٢١ يولو سنة ٢٠٠٧ بمنع سَفَـر المَنَصِّرين إلى أفغنســتان، وبسحب جنودها من هــنـاك مـع نهاية سنة ٢٠٠٧م. كذلك سبق للحكومة الأفغانية أن رَحَّلَت ألفا من هؤلاء المنصِّرين الكوريين، المتدفقين على أفغانستان فى حماية المدافع الأمريكية الأطلنطية!..

ولقـد امتـد هذا النشاط الكورى -التنصيريِّ- إلى بـلاد إسلامـية كثيرة، منها الصومال والسودان وباكستان وتركيا والشيشان وداغستان.. ولقـد قامت الحـكومة الروسـيـة بطرد المنصِّـر الكورى «هنرى لى» من الشيشان وداغستان سنة ٢٠٠٣م[١].

بل لقـد أرسلت هذه الكنيـسـة الكورية - كنيـسة صـايمل- قـرابة السبعـين «متطوعًا» إلى مصر -بلد الأزهر الـشريف- وذلك للعمل فى

(١) دكتور محمد السيد سليم- صحيفة [الأهرام] القاهرة -فى ٢، ١٠-٩-٢٠٠٧م.

عشر محافظات مصرية، تحت ستار العمل فى مجالات «التكوين المهنى والكهرباء والكمبيوتر والتمريض وتعليم اللغة الكورية» للمسلمين المصريين![1]

ولقد امتد نشاط هؤلاء المَنَصِّرين الكوريين إلى العراق -فى ظل الاحتلال الأمريكى سنة ٢٠٠٣م- وإلى مواطن تجمعات اللاجئين العراقيين فى الأردن وغيرها.. حتى لقد هاجم نشاطهم هذا بطريرك الكاثوليك فى العراق «إيمانويل ديلي» فى ١٩ مايو سنة ٢٠٠٥ قائلا: «**إنهم أتوا لتحويل مسلمين فقراء عن دينهم باستخدام بريق المال والسيارات الفارهة**»!..

وأشار إلى ما يحدثون بنشاطهم التنصيري من «تدمير التواصل الاجتماعى والديني بين مكونات الشعب العراقي»..

ولقد أَسَرَت المقاومة العراقية عددًا من هؤلاء المُنَصِّرين الكوريين فى إبريل سنة ٢٠٠٤م، وتمَّ الإفراج عنهم، بعد إعدام أحدهم - القس «كيم سون إيل» فى يونيو سنة ٢٠٠٤م..[2].

- **أما الدور التنصيرى الأمريكى المباشر فى العراق فحدِّث عنه ولا حرج!..**

فعندما قادت أمريكا الحرب التى غزت بها العراق فى مارس سنة ٢٠٠٣م، رأينا نموذجًا صارخًا للحلف «الإمبريالى - الصليبي»..

---

(١) دكتور محمد السيد سليم -صحيفة [الأهرام] القاهرة فى ٢٠٠٧/٩/١٠م.

(٢) المرجع السابق فى ٢ - ٩ - ٢٠٠٧.

فهي حــرب للسيطرة على ثلثى منــابع الطاقة فى العالم، لــيكون القرن الواحد والعشرون قرن الإمبريالية الأمريكية - وحدها دون شريك!

.. وفي سبــيل ذلك وظفت هذه الإمبــريالية الأمريــكية مؤســسات الصليبيــة والتنصير لكسر شوكة الإســلام المجاهد - الذى أطلقت عليه أوصاف «الأصولية» و«الإرهاب» و«الأشرار».

ولقد نشرت مجلة «نيوزويك» الأمريكية. إبان الحرب على العراق - عدد ١١ - ٣ - ٢٠٠٣م - أن الرئيس الأمريكى «بوش - الصغير» قد أقنع نفسه، وأعلــن أن حربه على العراق «هى حرب عادلة، وفــق المفهوم المسيــحى، كما شــرحه القديس أغــسطين [٣٥٤ - ٤٧٠م] فى القرن الرابع. وكما فصَّله كل من القديس توما الإكوينى [١٢٢٥ - ١٢٧٤م] ومارتن لوثر [١٤٨٣ - ١٥٤٦] وآخــرون! وأنه -أى بوش- قد «نبــش كلمة «الأشــرار» التى أطلقها على العراق وأفغانستان وإيران - وكل قوى الممانعة الإسلامية - من سِفْر المزامير»!.. وأنه يبــدأ عمله صــباح كل يوم بالمطالعــة - بناء على توصية القس «بيل جراهام» فى كتاب القس «أوزو الدشامبرز» - الذى مات سنة ١٩١٧م وهو يعظ الجنود البريطانيين والأستراليين بالزحف على القدس لانتزاعها من أيدى المسلمين!..

كمــا نشرت المجلة -الأمريكيــة- فى ذات العدد- دعم «المؤتمر المعــمدانى الجنوبى» وقــساوســته السيــاسيين - من أمــثال «ريتــشارد لاند» و«فــرانكلين جراهام» - لغزو العراق، ولتنصير المسلمين فيه!.. وبعبارة «نيوزويك»: «فإن

هؤلاء المبشرين الإنجيليين لا يخفون رغبتهم فى تحويل المسلمين إلى المسيحية، حتى - لا بل لا سيما - فى بغداد»[1].

ولقد نشرت «نيويورك تايمز» فى عددى ٥، ٦ - ٤ - ٢٠٠٣م- أى إبان الغزو للعراق - أن جيشًا من المنصرين الأمريكيين قد صحب الجيش الأمريكى الزاحف على العراق من الكويت.. وأن «من بين تلك الجماعات التبشيرية المصاحبة للجيش الأمريكى فى حربه على العراق مبشرين تابعين للكنيسة المعمدانية والكنيسة المنهجية.. حيث ذكر ممثلو الكنيسة المعمدانية أنه منذ بدأت الحرب الأمريكية على العراق تطوع نحو ٨٠٠ مُبَشِّر من خلال مجلسها التبشيرى لتقديم الدعم الروحى والمادى للشعب العراقى باسم يسوع المسيح!.. ومن بين هؤلاء المبشرين «فرانكلين جراهام» - الذى دشَّن حفل تنصيب «بوش» رئيسًا لأمريكا - والذى وصف الإسلام بالشر والعنف والإرهاب!.. ووالده «بيل جراهام» - الذى وصف نبى الإسلام بأنه إرهابى ووثنى!..

ولقد أعلن «فرانكلين جراهام» - وهو بالكويت، يهمّ بدخول العراق، فى ركاب الجيش الأمريكى: «لقد جئت إلى هنا تمهيداً لدخول العراق، فرغم أن نسبة المسلمين فى العراق تشكل ٩٧٪ من إجمالى تعداد السكان، إلا أننا يجب ألا ننسى أن المسيحية سبقت الإسلام فى دخول العراق!.. إننى هنا لدعم مسيحيّي العراق!.. وعندما نقدم الدواء أو الطعام لغير المسيحيين فإننا لا نفعل ذلك باسمنا، ولكننا نفعل ذلك باسم ابن الرب!!..

---

(١) [نيوزويك] فى ١١ - ٣ - ٢٠٠٣م.

ولقد تحدثت «نيويورك تايمز» عدد ٦ - ٤ - ٢٠٠٣م عن العقيدة المسيحية الصهيونية الموجهة لأركان الإدارة الأمريكية - التى شنت الحرب على العراق - والتى أعلنت «الحملة الصليبية» ضد الإسلام فى ١٦ - ٩ - ٢٠٠١م - فقالت الصحيفة الأمريكية: «إن السيد «كولن باول» يصف نفسه بأنه عاشق للطقوس الكنسية المسيحية الصهيونية. والسيدة «كوندليزا ريس» كان والدها قسيسًا بإحدى كنائس المسيحية الصهيونية بولاية ألاباما.. و«ديك تشينى» يؤمن بنفس المنهج التبشيرى للرئيس جورج بوش، والقائم على فكرة أن الطريق إلى التبشيرية يبدأ بالمدفع والإنجيل!.. ونفس الأمر ينطبق على وزير الدفاع «دونالدرامسفيلد».. فى حين تؤثر ديانة «بول وولفويتز» - اليهودية - على توجيهاته السياسية.. مما دفع بعض المراقبين للقول: «إن السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية الحالية تتم صياغتها والتعبير عنها طبقًا للمعتقدات التنصيرية، وتقسيم العالم إلى مؤمنين ووثنيين»!![١].

هكذا استخدمت - وتستخدم - العلمانية الغربية «المدفع والإنجيل» فى مواجهة الإسلام والمسلمين!.

***

(١) [نيويورك تايمز] فى ٥، ٦ - ٤ - ٢٠٠٣ م والنقل عن صحيفة [الأسبوع] القاهرة - فى ١٤ - ٤ - ٢٠٠٣م.

الغرب هو الذى يعلن الحرب
على الإسـلام وحـضارتـه

إنّ الغـرب، الذى زرع - ويزرع - العَـلْمـانيـة فى المجـتـمـعـات الإسلامـية، بواسطة سلطات الاسـتعـمار المبـاشر، وبواسطة المتـغربين العَلمانـيين من أبناء جِلْدتنا، الذين صَنَعَهم على عَـينِه فى بلادنا.. هو الذى أعلن الحرب على الإسلام، عندما جعله العدو و«الخطر الأخضر» الذى أحله مـحل «الخطر الشيوعى الأحـمر»، فـور سقوط الشـيوعـية وأحـزابها وحكومـاتها أوائـل سنة ١٩٩١م، لا لشىء إلا لاستـعصـاء الإسلام على العـلمنة، ومن ثَمَّ استعـصائه على التـبعـية والذوبان فى النموذج الحـضارى الغربي، ورفضه -مـن ثَمَّ- الاستسلام للإمبـريالية الغربية..

لقـد أعلن هذا الغـرب الإمـبـريالى الحرب عـلى الإسلام وأمـتـه وحضـارته وعالمه كى يجرعه «كـأس العلمانية المسـموم»، الذى همش المسيحية الغربية وأصابها بالهزال والإعياء والإفلاس..

وعن هذه الحـقيـقة كـتـبت مجلة [شـئـون دولية] - الصـادرة فى «كمبـردج» بلندن - عدد يناير سنة ١٩٩١م تقول: «**لقد شعـر الكثيرون بالحاجـة إلى اكتشـاف تهديد يحلّ محلّ التـهديد السوفـيتى، وبالنسبـة لهذا الغرض فإن الإسلام جاهز فى المتناول!..**

إن أوربيين كثيرين يتساءلون عـما إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلماني مثلما فعلت المسيحية بعد صراعات كثيرة وطويلة ومـؤلمة؟ أم أن رسوخ الإسـلام فى المجـال السيـاسي والاجـتمـاعي يجـعله يرفض القبول بالمبدأ المسيحى / الغـربي الـذى يُميِّزُ بين مـا لله ومـا لقيصر، وبما لا يسمح لمعتنقيـه أن يصبحوا مواطنين خاضـعين للقانون بصورة يُعَوّل عليها فى ديمقراطية علمانية؟

إن النظرية التى يعـتنقـهـا علمـاء الاجتـمـاع، والتى تقـول: إن المجتـمع الصناعى والعلمى الحديث يقوض الإيمان الديني، صالحـة على العموم.. لقد تناقص التـأثير السيـاسي والسيكلوجي للديـن، عملياً فى كل المجـتمـعات، وبدرجات مـتفاوتة، وأشكال مـختلفة.. لكن عـالـم الإسلام استـثناء مدهش وتام جداً من هذا!.. فلم تتم أى عملية علمنة فى عالم الإسلام.

إنَّ سيطــرة الإســلام على المؤمنـين به هى سـيطـرة قوية، هى بطريقة ما أقوى الآن عـما كانت من مائة سنة مضت. إن الإسـلام مقاوم للعلمنة نوعًـا ما، والأمـر المدهش هو أن هذا يظل صـحيـحًـا فى ظل مجـموعـة مختلفة من النـظم السياسية، فهو صـحيح فى ظلِّ نظم راديكالية (ثورية) اجتـماعـياً، وهو صـحيح أيضًـا فى ظل النظم التقلـيدية.. وهو صـحيح بالنسبة إلى النظم التى تقف بين النوعين.

إنَّ وجود تقاليد محليـة للإسلام.. قد مكن العالم الإسلامي من أن يفلت من المعـضلة التي أرّقت مـجتـمعـات أخرى أثـار الغرب فـيهـا الاضطراب والإذلال.. معضلة إضفاء الطابع المثالى على الغـرب ومحاكاته.. لقد امتلك

الإسلام مقومات الإصلاح الذاتى، باسم الإيمان المحلي، وذلك هو التفسير الأساسي لمقاومة الإسلام المرموقة لاتجاه العلمنة..

إنَّ الإسلام، من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍّ فعلي وحقيقي لمجتمعات يسودها مذهب اللاأدرية وفتور الهمة واللامبالاة، وهى آفات من شأنها أن تؤدِّي إلى هلاك تلك المجتمعات ماديّاً، فضلا عن هلاكها المعنوى..»[1].

وعن ذات الحقيقة - حقيقة استعصاء الإسلام على العلمنة والتبعية للنموذج الغربى.. وعداء الغرب للإسلام بسبب هذه الممانعة الفريدة والأكيدة - يقول المفكر الاستراتيجى الأمريكى «فوكوياما»: «إنَّ الحداثة التى تمثلها أمريكا وغيرها من الديمقراطيات المتطورة، ستبقى القوة المسيطرة فى السياسة الدولية، والمؤسسات التى تجسد مبادئ الغرب الأساسية ستستمر فى الانتشار عبر العالم.. وهذه القيم والمؤسسات تلقَى قبولاً لدي الكثير من شعوب العالم غير الغربية، إن لم نقل جميعها.. ولكن السؤال هو: هل هناك ثقافات أو مناطق فى العالم ستقاوم، أو تثبت أنها منيعة على عملية التحديث - بهذا المعنى الأمريكي والغربي!».

ثم يجيب «فوكوياما» على هذا التساؤل الذي طرحه فيقول:

«إن الإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة فى العالم التى يمكن الجدال

---

(١) مجلة [شئون دولية] عدد يناير سنة ١٩٩١م ملف عن الإسلام والمسيحية «العالم الاجتماع إدوارد مورتيمر».

بأن لديها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة.. فالعالم الإسلامي يختلف عن غيره من الحضارات في وجه واحد مهم، فهو وحده قد ولّد تكرارًا خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية مهمة، ترفض لا السياسات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة: العلمانية نفسها.. وإنه بينما تجد شعوب آسيا وأمريكا اللاتينية ودول المعسكر الاشتراكي وأفريقيا الاستهلاكية الغربية مغرية، وتود تقليدها - لو أنها فقط استطاعت ذلك - فإن الأصوليين المسلمين يرون في هذه الاستهلاكية دليلا على الانحلال الغربي».

ويعترف «فوكوياما» أن هذا الاستعصاء الإسلامى على العلمنة، وهذه الممانعة الإسلامية للحداثة الاستهلاكية الغربية هي سبب الحرب التي يشنها الغرب على الإسلام - وليس السبب هو ما يسميه الغرب بـ «الإرهاب!» - فيقول: «إن المسألة ليست -ببساطة- حربًا على الإرهاب، كما تظهر الحكومة الأمريكية بشكل مفهوم - [؟!] وليست المسألة الحقيقية - كما يجادل الكثير من المسلمين - هي السياسة الخارجية الأمريكية في فلسطين، أو نحو العراق، إن الصراع الأساسى الذي نواجهه، لسوء الحظ أوسع بكثير، وهو مهم، ليس بالنسبة إلى مجموعة صغيرة من الإرهابيين، بل لمجموعة أكبر من الراديكاليين الإسلاميين، ومن المسلمين الذين يتجاوز انتماؤهم الديني جميع القيم الأساسية الأخرى.. إن الصراع الحالى ليس - ببساطة- معركة ضد الإرهاب.. ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التى تقف ضد الحداثة الغربية.. إنه يشكل تحديًا أيدلوجيًا هو، في بعض جوانبه، أكثر أساسية من الخطر الذى شكلته الشيوعية.

وإن التطور الأهم ينبغى أن يأتى من داخل الإسلام نفسه، فعلى المجتمع الإسلامي أن يقرر فيما إذا كان يريد أن يصل إلى وضع سلمي مع الحداثة، وخاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسي حول الدولة العلمانية.. أم لا»[1].

فهذه الحرب الصليبية الغربية المعلَنة على الإسلام وأُمته وحضارته - والتى تقودها أمريكا - ليس سببها - باعتراف «فوكوياما» - ما يسمَّى بالإرهاب.. وإنما السبب الحقيقى والأعمق هو استعصاء الإسلام على العلمنة.. ورفضه للحداثة الاستهلاكية الغربية!..

***

---

(١) [نيوزويك]- العدد السنوى: ديسمبر سنة ٢٠٠١م -فبراير سنة ٢٠٠٢م.

تاريخ الغرب العلماني فى استخدام الصليبية ضد الإسلام

وإذا كان هذا هو تاريخ الغرب العلماني فى استخدام الصليبية سلاحًا فى مشروعه الإمبريالى ضد العالم الإسلامي - وهو تاريخ قديم قِدَم المشروع الإمبريالى الغربي.

- **الذى استخدم النصرانية الرومانية، والبيزنطية لقهر النصرانية الشرقية،** لعدة قرون قبل ظهور الإسلام، والفتوحات الإسلامية.

- **والذى استخدم الحملات الصليبية مدة قرنين من الزمان** [٤٨٩ - ٦٩٠هـ- ١٠٩٦ - ١٢٩٦م] لإعادة اختطاف الشرق من الإسلام.

فإن هذه النزعة الدينية الصليبية قد انتعشت وتزايدت فى اللغة الغربية والسياسات الغربية والممارسات الغربية ولدى النظم الغربية - المفترض علمانيتها!- في العقود الأخيرة، لأسباب عديدة منها الصحوة الإسلامية التى أعادت الإسلام ليكون «الفكرية - والأيديولوجية» التى يواجه بها المسلمون الإمبريالية الغربية - بعد سقوط الخيارات والنماذج التغريبية فى المجتمعات الإسلامية.

وعن هذه الحقيقة الهامة - حقيقة تزايد اللغة الدينية والتأثير الديني لدى المؤسسات السياسية الغربية - تقول مجلة [شئون دولية]:

«إنه من الواضح أن الدين أصبح يقتحم الشئون الدولية بصورة متزايدة، أو بالأحرى يعيد إدخال نفسه فيها..

ويصعب أن تكون مصادفة أن الديمقراطيين المسيحيين فى كل بلد أوربي موجودون على الدوام بين أشد أنصار الوحدة الأوربية حماسًا، أو أن القادة القوميين الثلاثة الذين أرسوا أسس الاتحاد الأوربي الحالي، كونوراد أديناور [١٨٧٦ - ١٩٦١م] والسيد دى جاسبرى [١٨٨١ - ١٩٥٤م] وروبرت شومان [١٨٨٦ - ١٩٦٣م] - كانوا جميعهم من الديمقراطيين المسيحيين، ومن الكاثوليك المخلصين. إنَّ هناك انطباعا قويًا بأن الإشارات إلى المسيحية - فى سباق دولى - قد تضاعفت فى وسائل الإعلام الغربية.. ولا شك أن السبب الرئيسي فى هذا هو التغييرات التى وقعت فى الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية - ففى بعض بلدان أوربا الشرقية لعبت الكنيسة دورًا مهماً فى إحداث التغيير السياسي: بولندا بصورة واضحة، وألمانيا الشرقية بصورة غير متوقعة، بدرجة أكبر، وكذلك تشيكوسلوفاكيا إلى حد ما. وفى الاتحاد السوفيتى بدأ التغيير من أعلى، وعلى يد المثقفين العلمانيين، لكن دور المنشقين المسيحيين فى مقاومة النظام، وتقدمهم لإدانته لم يكن بحال من الأحوال أمرًا تافهًا، والأمر الذى كان مدهشًا حقاً هو السرعة التى اتجه بها المجتمع والدولة على حد سواء إلى الكنيسة فى بحث يائس عن شيء يملأ الفراغ الأخلاقى المروع الذى كشف عنه انهيار الأيديولوجية الشيوعية. وكان لهذه الأحداث تأثير مدهش على المواقف الغربية.. فبدلاً من الكتلة السوفيتية.. اكتشفنا زملاء أوربيين يشاركوننا ميراثنا الحضارى والدينى..

وكان لابدَّ لأوروبا - التى اعتادت أن تعرِّف نفسها من خلال تحديد الآخر - أن تبحث عن آخر جديد يحلّ محلّ الاتحاد السوفيتى والمعسكر الشرقي بعدما انهارت أيديولوجيته، وكان هذا الآخر هو الإسلام.. إننا فى وقت يسود فيه انطباع قوى بتضاعف الإشارات إلى المسيحية فى السياق الدولي..».

هكذا حللت المجلة الأكاديمية الرصينة هذا المتغير الهام.. متغير عودة العامل الدينى إلى السياسات الغربية من جديد.. وبصورة ملحوظة ومؤثرة ومتزايدة.. بعد أن «كان المجتمع الدولى للقرن العشرين تسوده الثقافة الغربية الحديثة، وواحدة من سماتها العلمانية»[1].



(١) [شؤون دولية] مصدر سابق.

الخلاصة

وخلاصة هذا التحليل هى:

١- عودة العامل الدينيّ إلى الدخول والبروز والفعل والتأثير فى السياسات الغربية.

٢- دور المسيحية - والأحزاب المسيحية الديمقراطية - فى تأسيس الوحدة الأوربية.

٣- دور الكنائس الأوربية فى إسقاط الشيوعية، وإعادة أوربا الشرقية إلى الحضارة الغربية: المسيحية / اليهودية.

٤- عودة الدين كى يصبح «معيارًا» فى تعريف أوربا «لنفسها» إزاء «الآخر».

٥- دور هذا العامل والمعيار الديني فى اختيار الغرب للإسلام عدواً أحله محلّ العدو الشيوعيّ! أى عودة النزعة الصليبية - من جديد - إلى السياسة الدولية، وخاصة فى المواجهة الغربية مع الإسلام.

- ففى **الحِقبة الرومانية والبيزنطية** تجلَّت الوحدة بين «القيصرية» و«الكنيسة» فى مواجهة الشرق ونصرانيته.

- **وفى الحِقبة الصليبية - بالعصور الوسطى الأوروبية -** توحد «أمراء الإقطاع الأوروبيون» مع «الكنيسة» و«البورجوازية التجارية» ضد الإسلام والشرق الإسلامي.

- **واليوم.. وعقب سقوط «الخطر الشيوعى الأحمر»** - وتوحد الغرب فى إطار الحضارة المسيحية / اليهودية - وإحلال الغرب الإمبريالي الإسلام وصحوته عدواً وخطراً أخضر.. تعود الوحدة لمؤسسات الهيمنة الغربية فى المواجهة مع الإسلام.. وفى مقدمة هذه المؤسسات «المؤسسات السياسية» و«الكنائس الغربية».

- **وفى ضوء هذا المتغير** - الذى يجب أن يأخذ حقه فى الدرس والتحليل - نفهمُ الحديث عن وجوب جعل أوربا «ناديًا مسيحيًا» مغلقًا فى وجه تركيا المسلمة - وهو موقف يُعْلنه السياسي الفرنسي «جيسكار ديستان» - واضع دستور الاتحاد الأوربيّ.. ونفهم موقف الفاتيكان الرافض لدخول تركيا إلى هذا «النادي المسيحي»!..

- **ونفهم -كذلك- تخلّي العلمانية الفرنسية عن حيادها** إزاء الأديان، لتقف - فى مسألة الحجاب- ضد الشعائر الإسلامية على وجه الخصوص! **ونفهم إعلان بابا الفاتيكان** «بنديكتوس السادس عشر» عن مخاوفه الثلاثة:

١- انقراض المسيحيين الأوربيين ديموجرافياً.

٢- وحلول الهجرات الإسلامية - العربية والإفريقية - محلّ المسيحيين الأوربيين المنقرضين.

٣- وتحول أوربا إلى «جزء من دار الإسلام فى القرن الواحد والعشرين»![1].

---

(١) [بلا جذور، الغرب، النسبية، المسيحية والإسلام] - مصدر سابق.

- **ونفهم اتحاد المؤسسات الغربية**، واجتماعها - سياسية ودينية- على التخويف من الإسلام.. فمع القوانين المقيدة لحريات المسلمين فى الغرب، والتى تقنن التمييز العنصرى ضدهم.. ومع حملات الإعلام والثقافة التى تشيع الكراهية ضد الإسلام والمسلمين - والتى تمارسها المؤسسات السياسية الغربية - تأتى تصريحات كبار الكرادلة المحرِّضة على الإسلام والمسلمين.

- فالكاردينال الإيطالي «جاكوموبيفى» أسقف بولونيا - يدعو إلى «استئصال المسلمين من أوربا»!.

فصورة أوربا والغرب - بل والعالم- بنظره - لا يمكن أن تكون متعددة الديانات! ووفق عبارته: «**فإما أن تتحول أوروبا إلى مسيحية فوراً، وإلا ستكون إسلامية مؤكدًا**»[1].

- والكاردينال «بول بوبار» - مساعد بابا الفاتيكان، ومسئول المجلس الفاتيكانى للثقافة: يعلن: «**إن الإسلام يشكل تحديًا بالنسبة لأوربا وللغرب عمومًا**»![2].

- والمونسنيور «جوزيبي برنارديني» يقول - فى حضرة بابا الفاتيكان: «**إنَّ العالم الإسلامى سبقَ أن بدأ يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط. وهو يبنى المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين فى الدول**

(١) صحيفة [العالم الإسلامي] مكة فى ٦ - ١٠ - ٢٠٠٠م.
(٢) صحيفة [الشرق الأوسط] لندن فى ١ - ١٠ - ١٩٩٩م.

المسيحية، بما فى ذلك روما عاصمة المسيحية. فكيف يمكننا ألا نرى فى ذلك برنامجًا واضحًا للتوسع، وفتحًا جديدًا»[1].

- والحكومات الغربية - التى كانت حارسة للحياد بين الأديان - غدت الحامية للتهجم على الإسلام ورموزه ومقدساته، تحت ستار «حرية التعبير»!.. وبعد أن كانت شديدة العداء ضد الأحزاب الفاشية الجديدة، رأيناها تفسح المجال للمظاهرات التى تقودها هذه الأحزاب الفاشية - فى العديد من العواصم والمدن الأوربية - فى سبتمبر سنة ٢٠٠٧م - ضد ما يسمونه «خطر أسلمة أوربا»!!.

- وبعد منع المآذن فى سويسرا، تعلن المستشارة الألمانية «أنجيلا ميركل» -التى منحت جائزة حرية التعبير للرسام الدينماركى صاحب الرسوم المسيئة لرسول الإسلام ﷺ- تعلن عن «فشل» تجربة التنوع الثقافى فى أوربا، وعن ضرورة التزام المهاجرين فى ألمانيا -أى المسلمين- بالقيم المسيحية!!

هكذا يتصاعد التحالف «العلماني - الصليبي» الغربى ضد الإسلام والمسلمين.. وتتزايد - فى مواجهة الصحوة الإسلامية والصمود الإسلامى - «اللغة الدينية» فى المؤسسات الغربية - العلمانية والدينية جميعًا - .. وتسعى الإمبريالية الغربية - فى سبيل استعمارها الجديد لعالم الإسلام - إلى استخدام «المدفع.. والإنجيل» لكسر شوكة

---

(١) صحيفة [الشرق الأوسط] لندن فى ١٣ - ١٠ - ١٩٩٩م.

الإسلام والصحـوة الإسلامية التى سـرت وتسرى روحها بين جـماهير المسلمين. ويجد المسلمـون أنفسهم اليـوم - كما وجدوها على امـتداد تاريخهم الطـويل - أمام السُّنَّة الإلهيـة التى لا تبديل لهـا ولا تحويل: ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨]. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦، ٣٧]. صدق الله العظيم.

***

المصادر والمراجع

١- ابن خلدون: [المقدمة] طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.

٢- أحمد عبد الوهاب: [الإسلام فى الفكر الغربى] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

٣- الأفغانى - جمال الدين: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

٤- إميل بولا: [الحرية، العلمنة، حرب شطرى فرنسا ومبدأ الحداثة] - طبعة باريس سنة ١٩٨٧م.

٥- أمين سامى باشا: [تقويم النيل] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٦م.

٦- جوتفرايد كونزلن: [مأزق المسيحية والعلمانية فى أوربا] تقديم وتعليق: دكتور محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م.

٧- جوزيف راتزنجر، مارسيلو پيرا: [بلا جذور، الغرب، النسبية، المسيحية والإسلام] طبعة نيويورك سنة ٢٠٠٦م.

٨- الزركلى - خير الدين : [الأعلام] طبعة بيروت.

٩- سانتيلانا: [القانون والمجتمع] منشور ضمن كتاب [تراث الإسلام]. ترجمة: جرجيس فتح الله. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

١٠- سركيس: [معجم المطبوعات العربية والمعربة] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م.

١١- دكتور السيد أحمد فرج: [علمانى وعلمانية: تأصيل معجمى] - مجلة [الحوار]. عدد ٢ سنة ١٩٨٦م.

١٢- دكتور طه حسين: [مستقبل الثقافة فى مصر] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م، [من الشاطئ الآخر] ترجمة: عبد الرشيد الصادق - المحمودى - طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.

١٣- الطهطاوى - رفاعة: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م. وطبعة القاهرة - مكتبة الأسرة - سنة ٢٠١٠م.

١٤- دكتور عاطف غيث - إشراف: [قاموس علم الاجتماع] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.

١٥- دكتور عبد الرحمن بدوى: [موسوعة الفلسفة] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤م.

١٦- عبد الرحمن الرافعى: [عصر إسماعيل] طبعة القاهرة سنة ١٩٤٨م - [مصر والسودان] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م.

١٧- عبد الله النديم: مجلة [الأستاذ] - عدد ٢٢ - سنة ١٣١٠هـ - سنة ١٨٩٣م.

١٨- علـى عـبـد الـرازق: [الإسـلام وأصـول الحكم] طبـعة القـاهرة سنة ١٩٢٥م.

١٩- الغزالى - أبو حامد: [الاقتصاد فى الاعتـقاد] طبعة مكتبة صبيح - ضمن مجموعة -القاهرة- بدون تاريخ.

٢٠- مؤتمر كولورادو: [التنصـير: خطة لغزو العالم الإسـلامى] طبعة مالطا سنة ١٩٩١م. وطبعة مكتبة وهبة - القاهرة سنة ٢٠١٠م.

٢١- مجمع اللغـة العربية: [معجم العلوم الاجـتماعية] طبـعة القاهرة سنة ١٩٧٥م.

٢٢- دكتور مـحمد البهى: [العلمانية والإسـلام بين النظرية والتطبيق] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م.

٢٣- محمد حـميد الله - محقق: [مجـموعة الوثائق السياسيـة للعهد النبوى والخلافة الراشدة] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

٢٤- محمد عبده - الأستـاذ الإمام: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمـارة - طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م. وطبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

٢٥- دكتـور محـمد عمـارة [الإسلام والسـياسـة] طبعة القـاهرة سنة ١٩٩٣م [الفاتيكان والإسـلام] طبعة الـقاهرة سنة ٢٠٠٧م- [من أعلام الإحياء الإسلامى] طبـعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م - [مسلمون ثوار] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

- [هل الإسلام هو الحل]؟ - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٧م.

٢٦- دكتور محمود قاسم: [الإمام عبد الحميد بن باديس] طبعة دار المعارف - القاهرة.

موسوعات:

[موسوعة العلوم السياسية] طبعة الكويت سنة ١٩٩٤م.

دوريات:

١- الأهرام - القاهرة.
٢- الشرق الأوسط - لندن.
٣- فوكس - ألمانيا.
٤- المدينة - السعودية.
٥- شئون دولية - لندن.
٦- الرسالة - السعودية.
٧- العالم الإسلامى - السعودية.
٨- الدعوة الإسلامية - ليبيا.
٩- نيوزويك - الطبعة العربية.
١٠- نيويورك تايمز - أمريكا.
١١- أويست فرانس - باريس.
١٢- الأستاذ - القاهرة.
١٣- الحوار - بيروت.

***

الفهرس